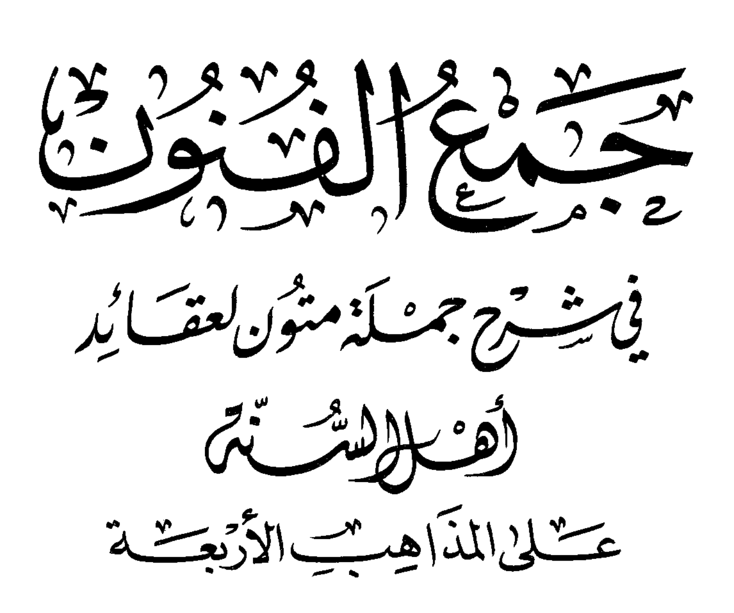


جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد أهل السنة على المذاهب الأربعة

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الثاني





قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ـ الجهراء ـ مجمع كاظمة التجاري

هاتف : ٤٥٥٧٥٥٩ فاكس : ٤٥٥٧٥٥٨

ص .ب : ١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧

طبع في مطابع مؤسسة الرسالة

تلفاكس: ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد : فهذه نبذ من كلام الإمام مالك رحمه الله تعالى توضح عقيدته في التوحيد والإيمان والقدر والصحابة والصفات وغير ذلك ، كما توضح مدى حرصه رحمه الله على سد منافذ الشرك وإغلاق أبوابه ، وكذلك صور ونماذج من مظاهر الشرك التي حذر منها هو وأتباعه ، ومدى تشدده مع أهل البدع والأهواء والخصومات في الدين .

وقد علقت على بعض هذه الفقرات بما رأيته مناسبًا ، وجعلت لكل فصل خلاصة تجمل ما فيه وأتبعتها بأسئلة للمناقشة تعظم بها الفائدة .

والله أسأل القبول وهو من وراء القصد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بقلم
د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الباب الثاني :

مذهب الإمام مالك بن أنس

وفيه فصلان :

الفصل الأول :

عقيدة الإمام مالك مع شرح ميسر لها

الفصل الثاني :

شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني
المالكي الميسر

الفصل الأول :

عقيـدة إمـام دار الهجـــرة مالــك بــن أنــس بن مالك ابــن أبــي عامــر الأصبحي «رحمــه اللـــه»

(٩٣ ـ ١٧٩هـ)

الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخُميس

المبحث الأول
عقيدته في التوحيد :

لقد تكلم الإمام مالك رحمه الله في توحيد الله تعالى ، وبين أنه أصله إفراد الله تعالى بالعبادة كما بين عقيدته في أسماء الله تعالى وصفاته ، وجرى في ذلك على ما جرى عليه غيره من السلف رضي الله عنهم جميعًا ، وذلك كما في النصوص الآتية عنه .

إن مصطلح التوحيد هو لفظ شرعي ، دلت عليه سورة الإخلاص ودل عليه قوله ﷺ لمعاذ لما أرسله إلى اليمن «فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله . .» .

وقد استخدم السلف هذا المصطلح كما نرى عند الإمام مالك رحمه الله في أول النقول عنه في الباب . حيث ذكر لفظ التوحيد فدل على أنه مصطلح معروف عند السلف متداول بينهم ، وليس لفظًا محدثًا كما ظن البعض .

(١) أخرج الهروي عن الشافعي قال : سُئل مالك عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك : «محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ، ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ : «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله[١] ، فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد»[٢] .

وهذا يدل على أن حقيقة التوحيد عند الإمام مالك هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وهو معنى كلمة لا إله إلا الله ، أي لا مستحق

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (٣/ ٢٦٢) ح(١٣٩٩) ، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٥١) ح(٣٢٤) ، والنسائي كتاب الزكاة ، باب مانع الزكاة (٥/ ١٤) ح(٢٤٤٣) جميعهم من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وأخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون (٣/ ١٠١) ح(٢٦٤٠) ، من طريق أبي صالح عن أبي هريرة .

(٢) ذم الكلام (ق ـ ٢١٠) .

للعبادة إلا الله تعالى . ولم يفسر التوحيد بأنه الربوبية ، أو بالقدرة على الاختراع والصنع ونحو ذلك .

(٢) وأخرج الدار قطني عن الوليد بن مسلم قال : «سألت مالكًا والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت»[١] .

لقد فهم أهل التفويض من مثل هذه النصوص عن السلف أنهم كانوا يفوضون في صفات الله تعالى ، ولا يفهمون ما دلت عليه من المعاني ، وهذا غير صحيح ، فإن السلف كانوا يفهمون حقيقة المعاني ، لكنهم كانوا يفوضون الكيفية لله تعالى ، لأنها غيب لا يدرك بالعقل ، وهذا المنهج واضح جداً في النص الذي سوف يأت عن الإمام مالك رحمه الله في تفسير الاستواء على العرش .

إثبات الرؤية

(٣) وقال ابن عبد البر : «سئل مالك أيرى الله يوم القيامة؟ فقال : نعم يقول الله عز وجل : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] . وقال لقوم آخرين : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥]»[٢] .

---

(١) أخرج هذا الأثر الدارقطني في الصفات ص ٧٥ ، والآجري في الشريعة ص ٣١٤ ، والبيهقي في الاعتقاد ص١١٨ ، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٩) .

(٢) الانتقاء ص ٣٦ .

وأورد القاضي عياض في ترتيب المدارك[١] عن ابن نافع[٢] ، وأشهب[٣] ، قالا : وأحدهم يزيد على الآخر يا أبا عبد الله ﴿**وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة**﴾ ، ينظرون إلى الله؟ قال : نعم بأعينهم هاتين ، فقلت له : فإن قومًا يقولون لا ينظر إلى الله ، إن ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب[٤] قال : كذبوا بل ينظر إلى الله ، أما سمعت قول موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، أفترى موسى سأل ربه محالا؟ فقال الله : ﴿**لن تراني**﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، أي في الدنيا لأنها دار فناء ، ولا ينظر ما يبقي بما يفنى ، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى وقال الله : ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ .

القول في الاستواء :

(٤) وأخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبد الله قال : «كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى؟

---

(١) (٢/ ٤٢) .

(٢) الذي يروي عن الإمام مالك باسم ابن نافع رجلان ، أما الأول فهو عبد الله بن نافع بن ثابت الزبيري أبو بكر المدني قال عنه ابن حجر : «صدوق مات سنة ٢١٦هـ» ، وأما الثاني فهو عبد الله بن نافع بن أبي نافع المخزومي ، مولاهم أبو محمد المدني ، قال عنه ابن حجر : ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين مات سنة ٢٠٦هـ ، وقيل بعدها ، تقريب التهذيب (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٥٠ ـ ٥١) .

(٣) هو أشهب بن عبد العزيز بن داوود القيسي أبو عمر المصري ، قال عنه ابن حجر : «ثقة فقيه مات سنة ٢٠٤هـ» ، تقريب التهذيب (١/ ٨٠) أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٣٥٩) .

(٤) في هذا التأويل ورد الإمام مالك عليه ، دليل على أن التأويلات البدعية ، وصرف النصوص عن ظاهرها قد ظهر في عهد هؤلاء الأئمة ، وليس بعدهم كما ظن البعض ، ولو كان هذا التأويل مشروعًا أو سائغًا ما رده الإمام مالك رحمه الله ، ولا كذب أهله ، واالتأويل المشروع عند السلف كان يرد علي أحد معنيين :

الأول : التفسير .

الثاني : عاقبة الشيء وما يؤول إليه . لكن نصوص الصفات أجروها على حقيقتها ، ولم يؤولوها التأويل الذي هو بمعنى صرف اللفظ عن ظاهر معناه .

فما وجد[١] مالك من شيء ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض ، وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ، ورمى بالعود وقال : الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فأخرج»[٢] .

والظاهر أن الإمام مالكًا قد شعر من السائل بأنه صاحب هوى أو يسأل متعنتًا فلهذا أنكر عليه ، وأمر به فأخرج ، ونعته بأنه صاحب بدعة ، وهذا دليل على شدة إنكاره رحمه الله على أهل البدع ، وقوله بأن الكيف غير معقول أي لا يستطيع العقل علم كيفيته ، والاستواء غير مجهول ، أي غير مجهول المعنى ، بل نعرفه من لغتنا التي نزل بها القرآن والإيمان به أي بما دل عليه من إثبات الاستواء الحقيقي لله بمنعي العلو والاستقرار والارتفاع على الكيفية .

القول في القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق

(٥) وأخرج أبو نعيم عن يحيى بن الربيع قال : «كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟

فقال مالك : زنديق[٣] فاقتلوه ، فقال يا أبا عبد الله إنما أحكي كلامًا سمعته ،

---

(١) جاء في لسان العرب (٣/ ٤٤٦) (وجد عليه في الغضب يُجد ويجدُ وجداً مَوْجِدَة ووجدانًا غضب وفي حديث الإيمان أني سائلك فلا تجد عليّ ، أي لا تغضب من سؤالي) .

(٢) الحلية (٦/ ٣٢٥ ، ٣٢٦) ، وأخرجه أيضا الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١٧ ، ١٨ ، من طريق جعفر بن عبد الله بن مالك وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١) من طريق عبد الله بن نافع عن مالك والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨ . من طريق عبد الله بن وهب عن مالك قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦ ، ٤٠٧) ، إسناده جيد وصححه الذهبي في العلو ص ١٠٣ .

(٣) الزنديق : كلمة معربة عن الفارسية استعملها المسلمون أولا في الدلالة على القائلين بالأصلين النور والظلمة على مذهب المانوية وغيرهم ثم اتسع معناها عندهم فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة بل أطلق على المتشككين وكل متحرر عن أحكام الدين فكرًا وعملاً .

انظر الموسوعة المُيسرة (١/ ٩٢٩) وتاريخ الإلحاد لعبد الرحمن بدوي ص١٤ ، ٣٢ .

فقال : لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك ، وعظم هذا القول»[١] .

(٦) وأخرج ابن عبد البر عن عبد الله بن نافع قال : «كان مالك بن أنس يقول من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب»[٢] .

فحكم رحمه الله بأن من قال القرآن مخلوق أنه زنديق ، ومرة حكم بقتله ، ومرة حكم بضربه وحبسه حتى يتوب ، وهذا دليل على شدة إنكاره رحمه الله على أهل البدع ، وحرصه على مواجهتها ، والقضاء عليها .

وفيه رد كذلك على الأشعرية والماتريدية وغيرهم ممن زعموا أن القرآن مخلوق وأنه عبارة عن كلام الله النفسي .

(عقيدته في علو الله وأنه تعالى في السماء) .

(٧) وأخرج أبو داوود عن عبد الله بن نافع قال : «قال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان»[٣] .

هذا كذلك إثبات لما عليه أهل السنة والجماعة من أن الله في السماء ، وعلمه شامل لكل الكائنات ، وليس كما زعم أهل البدع أنه تعالى في كل مكان ، أو أنه لا داخل العالم ولا خارجه .

---

(١) الحلية (٦/ ٣٢٥) وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٤٩) من طريق أبي محمد يحيى بن خلف عن مالك ، وأورده عياض في ترتيب المدارك (٢٠٤٤) .

(٢) الانتقاء ص ٣٥ .

(٣) رواه أبو داوود في مسائل الإمام أحمد ص٢٦٣ ، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ص ١١ ، الطبعة القديمة ، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٨) .

الخلاصة :

١ ـ التوحيد عند الإمام مالك في أصله إفراد الله تعالى بالعبودية .

٢ ـ يثبت مالك لله تعالى كل ما ثبت من الصفات الحسنى في الكتاب والسنة مع البعد عن التأويل وصرف النصوص عن ظاهرها .

٣ ـ يثبت رحمه الله الاستواء لله ، والرؤية في الآخرة .

٤ ـ القرآن كلام الله غير مخلوق كما نص عليه مالك وغيره .

المناقشة :

س ١ : ما أصل التوحيد عند الإمام مالك؟

س ٢ : ما موقف الإمام مالك رحمه الله من نصوص الصفات؟

س ٣ : تكلم بإيجاز عن رأيه في مسألة الرؤية .

س ٤ : ما قول مالك في القرآن .

المبحث الثاني
عقيدة الإمام مالك في القدر

لقد ثبت عن الإمام مالك نصوص كثيرة في مسألة القدر، وكلها تثبت ما كان عليه رحمه الله من إثبات قدر الله تعالى بجميع مراتبه الأربعة شأنه في ذلك شأن غيره من علماء السلف، فمن ذلك ما:

إثبات المشيئة والخلق:

(١) أخرج أبو نعيم عن ابن وهب[١] قال: «سمعت مالكًا يقول لرجل سألتني أمس عن القدر؟ قال: نعم، قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فلا بد أن يكون ما قال الله تعالى»[٢].

أفعال الخير والشر مخلوقة:

(٢) وقال القاضي عياض: «سئل الإمام مالك عن القدرية: مَن هم؟ قال: من قال: ما خلق المعاصي، وسُئل كذلك عن القدرية؟ قال: هم الذي يقولون إن الاستطاعة إليهم إن شاءوا أطاعوا، وإن شاءوا عصوا»[٣].

---

(١) هو عبد الله بن وهب القرشي مولاهم المصري قال عنه ابن حجر: «الفقيه ثقة حافظ عابد مات سنة ١٩٧هـ»، تقريب التهذيب (١/ ٤٦٠).

(٢) الحلية: (٦/ ٣٢٦).

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٤٨)، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٧٠١).

حكمه في القدرية :

(٣) وأخرج ابن أبي عاصم عن سعد بن عبد الجبار قال : «سمعت مالك بن أنس يقول : رأيي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا ـ يعني القدرية ـ »[١] .

(٤) وقال ابن عبد البر : قال مالك : ما رأيت أحداً من أهل القدر إلا أهل سخافة وطيش وخفة»[٢] .

(٥) وأخرج ابن أبي عاصم عن مروان بن محمد الطاطري قال : «سمعت مالك بن أنس يسأل عن تزويج القدري؟ فقرأ : ﴿وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ﴾ [البقرة : ٢٢١] . . .»[٣] .

رد شهادة أهل البدع والأهواء:

(٦) وقال القاضي عياض : قال مالك : لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو[٤] ، ولا الخارجي والرافضي»[٥] .

لا يصلي خلف القدرية:

(٧) وقال القاضي عياض : سُئل مالك عن أهل القدر أنكف عن كلامهم؟ قال : نعم إذا كان عارفًا بما هو عليه ، وفي رواية أخرى قال : لا يصلي خلفهم ، ولا يقبل عنهم الحديث ، وإن وافيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه»[٦] .

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٧ ، ٨٨) ، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦) .

(٢) الانتقاء ص ٣٤ .

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٨) الحلية (٦/ ٣٢٦) .

(٤) بدعو إلى بدعته .

(٥) ترتيب المدارك (٢/ ٤٧) .

(٦) ترتيب المدارك (٢/ ٤٧) .

الخلاصة :

١ ـ الإمام مالك رحمه الله يثبت القدر الإلٰهي بجمع مراتبه .

٢ ـ أفعال العباد من خير وشر كلها مخلوقة لله عز وجل .

٣ ـ كان رحمه الله شديداً على القدرية ، فرد شهادتهم ، ولم يجز الصلاة خلفهم .

المناقشة :

س ١ : ما موقف الإمام مالك من مسألة خلق أفعال العباد؟

س ٢ : هل يثبت مالك القدر بجميع مراتبه .

س ٣ : ما موقف الإمام مالك من فرقة القدرية .

* * *

المبحث الثالث
عقيدة الإمام مالك في الإيمان

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص :

تكلم الإمام مالك رحمه الله كغيره من علماء السلف في إثبات أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص ، وقصدهم بذلك الرد على منكري ذلك من أهل البدع الذين نفوا زيادة الإيمان ونقصانه ، وأخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان ، فجعل الأئمة هذا الباب من أصولهم كما نرى هنا ، فقد :

(١) أخرج ابن عبد البر عن عبد الرزاق بن همام قال : «سمعت ابن جريج[١] وسفيان الثوري ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٢] .

(٢) وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن نافع قال : «كان مالك بن أنس يقول : الإيمان قول وعمل»[٣] .

رده على المرجئة :

(٣) وأخرج بن عبد البر عن أشهب بن عبد العزيز قال : قال مالك : فقام الناس يصلون نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم أمروا بالبيت الحرام قال : الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، قال مالك : وإني لأذكر بهذه قول المرجئة : إن الصلاة ليست من الإيمان»[٤] .

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي ، قال عنه الذهبي : «الإمام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد» مات سنة ١٥٠هـ ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٩) ، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٠٠) .

(٢) الانتقاء ص ٣٤ .

(٣) الحلية (٦/ ٣٢٧) .

(٤) الانتقاء ص ٣٤ .

الخلاصة :

يرى الإمام مالك رحمه الله أن الإيمان قول وعمل ، وأنه يزيد وينقص وهذا هو مذهب السلف رحمهم الله تعالى .

المناقشة :س ١ : ما الإيمان عند الإمام مالك؟ وهل يزيد وينقص؟

س ٢ : هات دليلاً من القرآن استدل به مالك على أن العمل من الإيمان .

* * *

المبحث الرابع
عقيدة الإمام مالك في الصحابة

لا حق في الفيء لمبغض الصحابة :

حرص الإمام مالك رحمه الله كغيره من الأئمة على ذكر عقيدته في الصحابة ضمن أصوله التي نص عليها ، وذلك بعد أن ظهر الوقوع في الصحابة ، والقدح فيهم ، والحط من شأن أبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم جميعًا ، وكل ذلك بسبب الباطنية والناصبة ، فمن هنا وجد الأئمة لزامًا عليهم إظهار القول الحق في شأن الصحابة ، وهذا ما فعله الإمام مالك رحمه الله ، كما سنرى فقد أخرج أبو نعيم عن عبد الله العنبري(١) قال : «قال مالك بن أنس : من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ، أو كان في قلبه عليهم غل ، فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا﴾ [الحشر : ١٠] . فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل ، فليس له في الفيء حق»(٢) .

حكمه فيمن يبغضهم أو ينتقصهم:

(٢) وأخرج أبو نعيم عن رجل من ولد الزبير(٣) قال : «كنا عند مالك فذكروا رجلا يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ ، فقرأ مالك هذه الآية :

---

(١) هو عبد الله بن سوار بن عبد الله العنبري البصري القاضي ، قال عنه ابن حجر : «ثقة مات سنة ٢٢٨هـ» ، وقيل غير ذلك ، تقريب التهذيب (١/ ٤٢١) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٨) .

(٢) الحلية (٦/ ٣٢٧) .

(٣) الذي تتلمذ على مالك وسمع منه من ولد الزبير بن العوام هو عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، وقد تقدم التعريف به ومصعب بن عبد الله بن مصعب ، وسيأتي التعريف به .

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء﴾ حتى بلغ : ﴿ويعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح : ٢٩] . فقال مالك : «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد أصابته الآية»(١) .

تفضيله بين الصحابة

(٣) وأورد القاضي عياض عن أشهب بن عبد العزيز قال : «كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين وكانوا يقبلون على مجلسه فناداه : يا أبا عبد الله فأشرف له مالك ، ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه ، فقال له الطالبي : إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله ، إذا قدمت عليه فسألني ، قلت له : مالك قال لي .

ـ فقال له : قُل .

ـ فقال : من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟

ـ قال : أبو بكر ، قال العلوي : ثم مَن؟ قال مالك : ثم عمر . قال العلوي : ثم مَن؟ قال : الخليفة المقتول ظلماً ، عثمان . قال العلوي : والله لا أجالسك أبداً .

ـ قال له مالك : فالخيار إليك»(٢) .

(١) الحلية (٦/ ٣٢٧) .

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٤٤ ، ٤٥) .

الخلاصة :

١ ـ يرى الإمام مالك وجوب محبة الصحابة جميعا ، وعدم انتقاصهم ، وعدم بغض أي منهم .

٢ ـ يفضل مالك الخلفاء الأربعة على غيرهم ، وذلك حسب ترتيبهم في الخلافة .

المناقشة :

س ١ : ما موقف الإمام مالك رحمه الله تعالى من الصحابة؟

س ٢ : ما حكمه فيمن يبغض الصحابة وينتقصهم؟

س ٣ : من هم أفضل الصحابة عند الإمام مالك رحمه الله .

***

المبحث الخامس
نهيه عن الخصومات والأهواء والبدع في الدين

نهيه عن علم الكلام

كان الإمام مالك رحمه الله تعالى من أشد الناس نهيًا عن الاشتغال بعلم الكلام وعن مجالسة المتكلمين ، وكان يرى أنه يورث الشك والحيرة والاضطراب ، وأنه يؤدي إلى الزندقة ، وأنه مخالف لما كان عليه الأولون ، فمن هنا كثر نهيه عنه كما ثبت فيما :

(١) أخرج ابن عبد البر عن مصعب بن عبد الله الزبيري[١] قال : «كان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك ، ولا يحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إليَّ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل»[٢] .

كلام الإمام مالك هذا فيه دليل واضح على أن السلف كانوا يكرهون جداً كلام الجهم والقدرية والخوض في أمور الكلام المنهي عنه .

وبالرغم من هذا فقد انتشرت آراء جهم وغيره بين بعض المنتسبين في الفروع إلى الأئمة حتى من بعض المنتسبين لمالك رحمه الله تعالى .

الرجاء لمن ترك علم الكلام :

(٢) وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن نافع قال : «سمعت مالكًا يقول : لو أن

---

(١) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي المدني نزيل بغداد قال عنه ابن حجر : «صدوق عالم بالنسب مات سنة ٢٣٦هـ» تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٢) ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ١٦٢) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٤١٥ ، ط/ دار الكتب الإسلامية .

رجلاً ركب الكبائر كلها بعد ألا يشرك بالله ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع ـ وذكر كلامًا ـ دخل الجنة»[١] .

هذا يوضح أن مذهب مالك رحمه الله أن الكبائر أهون من الاشتغال بعلم الكلام ، فالكبيرة من تاب منها لم يبق في قلبه أثر لها أما علم الكلام فإنه يورث الشك والارتياب والحيرة والاضطراب .

عاقبة الكلام الزندقة :

(٣) وأخرج الهروي عن إسحاق بن عيسى[٢] قال : «قال مالك : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب»[٣] .

(٤) وأخرج الخطيب عن إسحاق بن عيسى قال : «سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول : كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ»[٤] .

هذا هو حال أهل الكلام كلما جاء رجل أعلم بصنعة الكلام من غيره ، انقادوا له ، فينقض كلام من سبقه ، ولهذا فهم مترددون متخبطون ، فترى ابن رشد ينقض كلام الغزالي ، والرازي ينتقض كلام الآمدي والجويني ، وهكذا .

لعنه لعمرو بن عبيد :

(٥) وأخرج الهروي عن عبد الرحمن بن مهدي قال : «دخلت على مالك

---

(١) الحلية (٦/ ٣٢٥) .

(٢) هو إسحاق بن عيسى بن نجيح البغدادي قال عنه ابن حجر : «صدوق مات سنة ٢١٤هـ» تقريب التهذيب (١/ ٦٠) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٢٤٥) .

(٣) ذم الكلام (ق ١٧٣ ـ أ) .

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ٥ .

وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من أصحاب عمر بن عبيد ، لعن الله عمرو بن عبيد ، فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام ، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة ، والتابعون ، كما تكلموا في الأحكام والشرائع»[١] .

هذا اللعن من الإمام مالك لعمر بن عبيد ، وما ثبت عن أبي حنيفة مثله ، إنما هو لشدة خطر بدعة عمرو وأشباهه على المسلمين بما فتحوه من الكلام والبدع ، ومقصوده من الكلام هو ذلك العلم الموروث عن اليونان وغيرهم ، الذي يفتح باب التشكيك في العقائد والغيبيات ، ومن هنا يعلم خطأ من أطلقوا على العقيدة علم الكلام ، حتى إن أقسام العقيدة بعض الجامعات أصبحت تسمى أقسام علم الكلام والفلسفة فالله المستعان على غربة الدين وبعد المسلمين عن دينهم .

حتى أن أحدهم إذا سئل عن مذهبه في الفقه قال حنفي أو مالكي أو غيره ، ويتعصب لإمامه في الفروع ، وهو يخالفه في الأصول والعقائد ، فالله المستعان .

تحذيره من البدع وأهلها :

(٦) وأخرج الهروي عن أشهب بن عبد العزيز قال : «سمعت مالكًا يقول : «إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبد الله ، وما البدع؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته ، وكلامه ، وعلمه وقدرته ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[٢] .

يقصد رحمه الله بالذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، الذين يتكلمون بغير علم ويذهبون إلى التعطيل وغيره ، وليس الذين

---

(١) ذم الكلام (ق ١٧٣ ـ ب) .

(٢) ذم الكلام (ق ١٧٣ ـ ب) .

يتكلمون بقصد التقرير والإثبات ، فإن هؤلاء لا يذمون .

(٧) وأخرج أبو نعيم عن الشافعي قال : «كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال : أما إني على بيّنة من ربي وديني ، وأما أنت فشاك فاذهب إلى شاك فخاصمه»(١) .

فهذا يوضح أن المتبعين لعلم الكلام دائما أهل حيرة وشك واضطراب ، ويتندمون عند الموت حتى قال قائلهم :

نهاية إقدام العقول عقال
وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا(٢)

وأما أهل السنة فهم أهل إيمان ويقين ، لا يشكون ولا يتحيرون ، لأخذهم بالسنة وتركهم للأهواء .

موقفه من كتب الكلام :

(٨) روى ابن عبد البر عن محمد بن أحمد بن خويز منداد المصري المالكي قال في كتاب الإجارات من كتابه الخلاف : قال مالك لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع ، والتنجيم ، وذكر كتبًا ثم قال : وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة ، وغيرهم ،

---

(١) الحلية (٦/ ٣٢٤) .

(٢) هذا في كلام الرازي في كتابه أقسام اللذات .

وتفسخ اجارة في ذلك»[١] .

إذا كان الإمام مالك رحمه الله يرى عدم جواز الإجارة في كتب أهل الكلام ، فكيف بمن يجعلونها واجبة التدريس على طلاب الجامعات وغيرهم ، ويختبرونهم فيها ، ويعظمون ما فيها؟

فهذه لمحات من موقف الإمام مالك وأقواله في التوحيد والصحابة والإيمان وعلم الكلام وغيره .

الخلاصة :

شدد الإمام مالك في الإنكار على المشتغلين بعلم الكلام ونهى عن مجادلتهم حتى إنه ذهب إلى بطلان الإجارة في كتب المتكلمين ونحوها .

المناقشة :

س ١ : ما موقف مالك من علم الكلام والمتكلمين؟

س ٢ : هل كان مالك يحب مجادلة المتكلمين؟

س ٣ : هل يرى مالك أن علم الكلام يؤدي إلى اليقين والإيمان؟

***

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٤١٦ ، ٤١٧ ط/ دار الكتب الإسلامية .

المبحث السادس
نهيه عن الشرك ووسائله

أولا : نهيه عن وسائل الشرك :

وجاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عما هو من وسائل الشرك :

كتجصيص القبور(١) ، وتعليتها(٢) ، والكتابة عليها(٣) ، والبناء عليها (٤) ، واتخاذها مساجد(٥) ، واستقبالها للدعاء(٦) ، والسجود عليها(٧) ،

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» . ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع المدونة ١/ ١٨٩ كتاب الكافي لابن عبد البر ١/ ٢٨٣ ، وتنوير المقالة ٣/ ٤٠ ، والثمر الداني ٢٣٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ .

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر : قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر ، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» . ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه من هذه القضايا راجع المدونة ١/ ١٨٩ ، وتنوير المقالة ٣/ ٤٠ ، والثمر الداني ص٢٣٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٣) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ : «نهى أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها» ، ولمعرفة موقف الإمام مالك رحمه الله وكثير من أتباعه راجع فتح المجيد ص ٣٢٣ .

(٤) لما أخرجه مسلم عن جابر قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر ، وأن يقعد عليها ، وأن يبنى عليه بناء» ، ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه راجع المدونة ١/ ١٨٩ المعيار المعرب ١/ ٣١٧ ، ٣١٨ ، وتنوير المقالة ٣/ ٣٩ ، والثمر الداني ٢٣١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٧٩ ، فتح المجيد ص٣٢٣ ، تيسير العزيز الحميد ص٣٢٣ ، ٣٢٤ ، والكافي لابن عبد البر ١/ ٢٨٣ .

(٥)قال النبي ﷺ : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» متفق عليه . وقال : ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك . أخرجه مسلم وغيره . ولمعرفة موقف المالكية في التمهيد ١/ ١٦٨ ، ٥ ، ٤٥ ، والمنتقى ٧/ ١٩٥ تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ ، شرح موطأ مالك للزرقاني ٤/ ٢٣٣ ، ١٢/ ٣٥١ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٤٠ ، والمنتقى ١/ ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٦) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال : «لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا عليها» .

ولمعرفة موقف المالكية راجع لكتاب صيانة الإنسان ص٢٦٤ ، وفتح المنان ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، وتيسير العزيز الحميد ص٣٥٨ .

(٧) ولمعرفة موقف المالكية راجع التمهيد ٦/ ٣٨٣ ، ١/ ١٦٧ ، ٥/ ٤٥ .

والصلاة عليها(١) ، وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة(٢) .

قال القرطبي : «التمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه ، وأحمد بن حنبل في رواية عنه ، وقد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة»(٣) .

وقال كذلك : «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر وحرفهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»(٤) .

فرحم الله سلف هذه الأمة على ما قدموه من جهد لحماية جناب التوحيد ، وسد كل ذرائع الشرك ، حتى في أدق الأمور .

وقال الإمام مالك : «أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبني عليها»(٥) .

والكراهية التي يشير إليها الإمام يقصد بها كراهة التحريم لما ورد في النهي عن هذه الأمور كما لا يخفى .

---

(١) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال : «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها» ، ولمعرفة موقف المالكية راجع : مقدمة ابن رشد ص ١٧٤ ، والتمهيد ١/ ١٦٧ ، ٥/ ٢٥ ، ٦/ ٢٨٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٧٩ .

(٢) لقول النبي ﷺ : «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد . . .» .

ولمعرفة موقف المالكية ارجع إلى المعلم ١٢/ ٨٢ ، وشرح الزرقاني لمختصر خليل ٣/ ٩٣ ، وتيسير العزيز الحميد ٣٦١ ، وشرح الزرقاني للموطأ ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) قرة عيون الموحدين ص ١٣٦ .

(٥) المدونة ١/ ١٨٩ .

وقال ابن أبي شامة: «كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار في المدينة، ما عدا قباء وأحد»[١].

وهذا من شدة احتياطهم في حماية التوحيد، فإنهم كرهوا كل ما لم يرد فيه نص، خوفًا من ذرائع الشرك فكيف بمن يذهب إلى المساجد السبعة، وإلى مسجد القبلتين وغيره.

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ: «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: «وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرى بذلك، وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى»[٢].

والمقصود بالكراهية هنا للدفن هي كراهية التحريم، وكذلك يتضح تشدده في الأشياء التي فيها مشابهة لليهود والنصارى، والمقصود ليس ترك التشبه بهم فقط، ولكنه لما ورد أيضا من العلل والحكم في منع هذه الأشياء حذراً من الشرك وحماية لجانب التوحيد.

وقال القرطبي: «وقال علماؤنا وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[٣].

وانظر إلى ما عليه حال الناس اليوم من الافتتان بالأضرحة وأهلها، فكلما هلك فيهم عالم أو صالح صنعوا له ضريحا، وبنوا عليه مسجداً، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

وقال ابن رشد: إن فات - يعني صلاة الجنازة - لم يصل عليه لئلا يكون ذريعة

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٩٦، ٩٧، وكتاب ابن وضاح رقم ١١٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٤٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠.

الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[١] .

وقال ابن رشد كذلك : «كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة»[٢] .

قال القرطبي : في شرح حديث النبي ﷺ : لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» ، أي لا تتخذوها قبلة ، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى ، فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام ، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك ، وسد الزرائع المؤدية إلى ذلك»[٣] .

إلى أن قال : «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في ا لجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا ، فذلك يهدم ويزال ، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة ، وتشبها بمن كان يعظم القبور ويعبدها»[٤] .

وقال الإمام مالك : «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ، ولكن يسلم ويمضي» ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط ، وإسناده صحيح كما في صيانة الإنسان[٥] .

وهذا يوضح مدى احتياط مالك رحمه الله للتوحيد ، وتحذيره من الشرك حتى لو كان يقتضي ذلك التحرز من الغلو في تعظيم قبر النبي ﷺ .

وقال أيضا في المبسوط : «لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي ﷺ ، ويدعو له ولأبي بكر وعمر .

---

(١) مقدمة ابن رشد ص ١٧٤ .

(٢) فتح المجيد ص ٣٢٣ ، ولعله يقصد ما يسمى اليوم بشاهد القبر وهو رخام يكتب عليه اسم الميت ، وتاريخ وفاته ، وغير ذلك . والله أعلم .

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠) .

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨١) .

(٥) ص ٢٦٤ فتح المنان ص ٣٥٨ .

والمقصود بذلك الدعاء لهم ، وليس قصد استقبال القبر للدعاء ، بل يستقبل قبلة الصلاة ويدعو لما ثبت عن مالك وغيره من النهي عن ذلك والتحذير منه .

قيل له : فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر ، فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها ، أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده»[١] .

وأما الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال : «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ ، قال له مالك يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قومًا وقال : ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات : ٢] .

ثم قال : فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرفة»[٢] .

أما الحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا؟ أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال ولم تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة بل استقبله ، واستشفع به يشفعه الله فيك»[٣] .

قال صاحب تيسير العزيز الحميد «فهذه الرواية ضعيفة أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد»[٤] .

---

(١) ص ٢٦٤ فتح المنان ص ٣٥٨ .

(٢) انظر صيانة الإنسان ص ٢٥٥ ، وفتح المنان ص ٣٥٩ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٨ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٨ .

وهذه طريقة أهل البدع والأهواء يخترعون حكايات وقصصًا لا أصل لها لتأييد ما يفعلونه من البدع ، وما يذهبون إليه من الأهواء الباطلة .

وأما ما روي ابن زبالة وهو في أخبار المدينة عن عمر بن هارون عن سلمة بن وردان ، وهما ساقطان ، قال : رأيت مالك بن أنس يسلم على النبي ﷺ ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ، ثم يدعوا[1] ، فالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد .

وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٤] فهو والله أعلم باطل ، فإن هذه لم يذكره أحد من الأمة فيما أعلم ، ولم يذكر أحد منهم أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استغفاراً ولا غيره ، ولكلامه المنصوص . وأمثال ينافي هذا ، قاله صاحب فتح المنان[2] .

وقال القرطبي «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة رضي الله عنها ـ أن أم حبيبة وأم سلمة ـ رضي الله عنهن ـ ذكرتا كنيسة رأياها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله» . أخرجه البخاري[3] ، ومسلم .

قال علماؤنا : ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ، ويتذكروا أحوالهم الصالحة ، فيجتهدون كاجتهادهم ، ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم ، فمضت لهم بذلك أزمان ، ثم أنه خلف من بعدهم خلوف جهلوا

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٩ .

(٢) ص ٣٦٠ .

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٧) ح(١٣٤١) في الجنائز باب بناء المسجد على القبر ومسلم (١/ ٣٧٥) ح(٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها .

أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها ، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك ، وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك»[١] .

وهذه كانت بداية الشرك في قوم نوح عليه السلام ، كما ثبت عن ابن عباس وغيره في قصة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ؛ فتأمل .

وقال ابن الحاج في المدخل : «لا يجوز الطواف حول الأضرحة فإنه لا يطاف إلا بالبيت العتيق ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود»[٢] .

قلت : الطواف بالقبور ، واستلامها وتقبيلها ، كما يفعل أهل الإشراك والابتداع عند قبر الحسين والبدوي والسيدة زينب وغيرهم ، وكل هذه بدع لا أصل لها في دين الله .

وقال الطرطوشي : «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ ، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنة عليهم .

قال : وكان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[٣] .

وقال الطرطوشي : «قال عمر بن الخطاب إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ، ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها»[٤] .

---

(١) تفسير القرطبي ٢/ ٥٨ .

(٢) المدخل كما في المشاهدات المعصومية ص ٧٣ .

(٣) كتاب الحوادث والبدع ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٤) كتاب الحوادث والبدع ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

فرضي الله عن عمر ، وكم كان حرصه على حماية التوحيد ، فنهي عن إتيان هذه المساجد خصوصا للصلاة ، وكيف قطع تلك الشجرة خشية أن يفتن بها الناس ، فالواجب على أولياء الأمور في كل مكان أن يقتدوا به رضي الله عنه ، ويسلكوا سبيله .

الخلاصة :

١ ـ اشتد مالك رحمه الله في الاحتياط لجانب التوحيد ، وسد ذرائع الشرك .

٢ ـ رأى مالك وجوب الابتعاد عن كل المحدثات ، وحذر من الغلو المؤدي إلى الإشراك .

٣ ـ اهتم علماء المالكية جداً بالتحذير من وسائل الشرك المتنوعة ، وخاصة الغلو في الصالحين واتباع آثارهم .

المناقشة :

س ١ : اذكر نماذج توضح حرص الإمام على سد منافذ الشرك .

س ٢ : هات بعض النصوص التي توضح حرص علماء المالكية على حماية جانب التوحيد .

* * *

ثانيا : نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام مالك وبعض أتباعه

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر ، ودعاء[١] غير الله والاستغاثة بغير الله[٢] ، والنذر لغير الله[٣] ، والذبح لغير الله[٤] ، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرف في الكون مع الله[٥] ،

---

(١) لقوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الأحقاف : ٥] . وقول النبي ﷺ : «إن الدعاء هو العبادة» .

وللمزيد من التعرف على أقوال المالكية انظر : رسالة الشرك لمبارك الميلي (ص ١٩٢) .

والتحرير والتنوير ٢٤/ ١٨١ ، ٢٦/ ١١ .

(٢) قال تعالى : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم . . .﴾ [الأنفال : ٩] . وقال : ﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن . . .﴾ [الأحقاف : ١٧] . التحرير والتنوير ٩/ ٢٧٤ ، ٢٧٥/ ٢٦/ ٣٩ .

(٣) قال تعالى : ﴿وليوفوا نذورهم . . . .﴾ [الحج : ٢٩] . فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى ، التحرير والتنوير ١٧/ ٢٤٨ ، وانظر تيسير العزيز الحميد (ص :٢٠٧) ، رسالة الشرك للميلي (ص :٢٦٨) ، ولا يجوز النذر لولي أو نبي أو غيرهما ، وإلا فإن هذا شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى ، لا كما يفعله كثير من الجهال بالنذر لقبر البدوي أو الحسين ، أو الجيلاني أو غيرهم ، فإن هذا شرك بالله تعالى ولا يسوغ أي تأويل لذلك الفعل أو محاولة التلاعب باللفظ والقول بأن «النذر لله والثواب للولي» ، فهذا كلام باطل لا يستجيزه عقل صريح .

(٤) لقوله تعالى : ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر : ٢) ، وقوله تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام : ١٦٢] . فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله ، وعلى اسم الله ، ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه .

وانظر : مختصر خليل (٣/ ١٣٠) ، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٤) ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٧٤ .

(٥) وهذا شرك في الربوبية ، وقد نفى الله تعالى كل أنواع التصرف لغيره بقوله : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما لهم منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] . وقد سبق الكلام على هذه الآية بالتفصيل في المبحث الثاني . وانظر : شرح الموطأ للزرقاني (ص ١/ ٣٤٧) ، وشرح الموطأ للباجي (١/ ٣٣٤) . والتحرير والتنوير ٢٢/ ١٨٥ ، ١٩١١ .

أو اعتقاد أن أحد يعلم الغيب[١] ، أو الحلف بغير الله[٢] ، أو اعتقاد أن للكواكب تأثيرًا في إنزال المطر[٣] ، والتوكل على غير الله[٤] .

قال ابن العربي : «مقامات الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله لا أمارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبي لاطلاع الغيب من أمارات الساعة ، والأربع سواها لا أمارة عليها ، فكل من قال : إنه ينزل الغيث غدًا فهو كافر ، أخبر عنه بأمارات ادعاها أو بقول مطلق ، ومن قال : إنه يعلم ما في الرحم ، فهو كافر .

وأما من ادعى علم الكسب في مستقل العمر فهو كافر ، أو أخبر عن الكوائن الجملية أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون ، فلا ريبة في كفره أيضًا . فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا : يؤدب ويسجن ، ولا يكفر أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا : إن أمر يدرك بالحساب ، وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله سبحانه في قوله جل وعلا : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس : ٣٩]ـ ، لحسابهم له ، وإخبارهم عنه ، وصدقهم فيه ، توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم ، وأما أدبُهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق

---

(١) لقوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا﴾ [الجن : ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل : ٦٥] .

وانظر : أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٣٨ ، ٧٣٩) . وتفسير القرطبي (١/ ٢٩٠) ، ورسالة الشرك للميلي (ص : ١٣٧) .

(٢) لقوله ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك» . وفي لفظ : «فقد كفر» . وانظر التمهيد (١٤/ ٣٦ : ٣٦٧) ، وتفسير القرطبي - ١٠/ ٤٠) وشرح الصغير للدرديري (٢/ ٢٠٣) وتفسير القرطبي (١٠/ ٤٠) ، و(٦/ ٢٧٠ : ٢٧١) ، والمقدمات لابن رشد (٣٠٨ : ٣٠٩) ، وشرح رزق على متن الرسالة (٢/ ١٥) ، والمعلم (٢/ ٢٤٠) . شرح الزرقاني على مختصر خليل ٣/ ٥٣ كتاب الكافي في فقه اهل المدينة المالكي ١/ ٤٤٨ .

(٣) المنتقى شرح موطأ مالك ١/ ٣٣٤ ، وشرح الزرقاني لموطأ مالك .

(٤) لقوله تعالى : ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال : ٢]ا .

العلم بالغيب المستأنف ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره ، فتتشوش عقائدهم في الدين وتتزلزل قواعدهم في اليقين ، فأدبوا حتى يُسروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا»[١] .

ومن هنا يتضح كفر من ادعى علم الغيب عن طريق الفنجان والكف وغيره ، ويتضح كذلك تشدد السلف في حماية جانب التوحيد مما يخدشه .

وقال ابن عبد البر :

«لا يجوز الحلف بغير الله ـ عز وجل ـ في شيء من الأشياء ، ولا على حال من الأحوال ، وهذا أمر مجمع عليه ، وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثًا شديدًا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «من حلف بغير الله فقد أشرك» ذكره أبو داود[٢] وغيره .

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تحلفوا بآبائكم ، ولا بأمهاتكم ، ولا بالأنداد ، ولا تحلفوا إلا بالله ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[٣] . .»[٤] .

وهذا الحلف بغير الله شرك أصغر إن لم يكن مقترنًا بتعظيم المحلوف به ، فإما إن كان معه تعظيم له فإن يكون شركًا أكبر .

---

(١) أحكام القرآن ٢/ ٧٣٨, ٧٣٩ .

(٢) أحمد ٢/ ٣٤ـ ١٢٥ ، والترمذي ٤/ ١١٠ ح ١٥٣٥ في النذور والإيمان ، وأبو داود ٣/ ٥٧٠ ، ح ٣٢٥١ في الإيمان باب في كراهية الحلف بالآباء ، وابن حبان ٦/ ٢٧٨ ح٤٣٤٣ ، والحاكم ٤/ ٢٩٧ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن جميعهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعا وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ١١٦٧ح٦٢٠٤ .

(٣) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٦٩ ح٣٢٤٨ في الإيمان باب في كراهية الحلف بالآباء من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٤) التمهيد لابن عبد البر ١٤/ ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

وقال ابن رشد : «والمحظور أن يحلف باللات ، والعزى ، والطواغيت ، أو بشيء مما يعبد من دون الله تعالى ، لأن الحلف بالشيء تعظيم له ، والتعظيم لهذه الأشياء كفر بالله تعالى»(١) .

قلت : ليس المقصود هذه المعبودات فقط ، بل ورد النهي عن الحلف بغير الله مطلقا ، سواء حلف بأبيه أو بعمره أو غير ذلك .

وقال القرطبي : «في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٧٣] . أي ذكر عليه غير اسم الله تعالى ، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل فالوثني يذبح للوثن ، والمجوسي للنار ، والمعطل لا يعتقد شيئًا فيذبح لنفسه ، ولا خلاف بين العلماء أن ما ذبح المجوسي لناره ، والوثني لوثنه لا يؤكل . . ومنه إهلال الصبي واستهلاله وصياحه عند ولادته ، وقال ابن عباس وغيره : المراد ما ذبح للأنصاب والأوثان . . وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة ، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبّر عن النية التي هي علة التحريم ، ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل ، التي نحرها غالب أبو الفرزدق فقال : إنها مما أهل لغير الله به فتركها الناس ، قال ابن عطية : ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سئل عن امرأة صنعت للعُبها عرسا ، فنحرت جزوراً ، فقال الحسن : لا يحل أكلها فإنها إنما نحرت لصنم»(٢) .

جاء في المدونة كما في شرح الزرقاني لمختصر خليل : «سوق الهدايا لغير مكة ضلال»(٣) .

---

(١) مقدمات ابن رشد ص : ٣٠٩ .

(٢) تفسير القرطبي ٢/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) شرح مختصر خليل للزرقاني ٣/ ١٣٠ .

أقول : فكيف بمن ينحرون الذبائح لقبور الصالحين ويذبحوها باسمهم ، لا شك أنها لا يحل أكلها ، وأنها مما أهل لغير الله به .

وقال الميلي : «دعاء غير الله . . فهو شرك صريح وكفر قبيح ، وله نوعان : أحدهما غير الله مع الله ، كالذي يقول : يا ربي ، وياشيخي ، يا ربي وجدي ، يالله وناسه ، يا لله وسيدي عبد القادر ، وسمعت كثيراً يحكون أنهم كثيراً ما يسمعون فلانًا يقول : يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي ، ويوسف هذا من أولاد ابن الدرويش إحدى فصائل أولاد العباد . . وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح لأن الداعي عطف غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة ، وهي تقتضي مشاركة ما بعدها في الحكم ، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء .

النوع الثاني : دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول : يا رجال الدالة ، يا دوان الصالحين ، وإطلاق الشرك على هذا النوع باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يتبرأ منه في العقد ، فكأن الله في كلامه مضمر»(١) .

ومن ذلك ما يقوله البعض من المبتدعة ، مدد يا حسين ، يا سيد يا بدوي ، مدد يا عبد القادر أو يقولون عبد القادر يا جيلاني ، يا متصرف في الأكوان . . إلخ هذه الضلالات .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي : «قد نُهي عن النذر ، وندب إلى الدعاء ، ويظهر به التوجه إلى الله تعالى والتضرع له ، وهذا بخلاف النذر ، فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول ، وترك العمل إلى حين الضرورة»(٢) .

---

(١) رسالة الشرك ص ١٩٢ .

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٧ .

قال ابن عبد البر : «يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد»[1] .

وقال ابن عبد البر : «الوثن : الصنم ، وهو الصورة من ذهب كان ، أو من فضة . أوغير ذلك من التمثال ، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم ، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم : كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال ﷺ اللهم لا تجعل قبري وثناً» يصلى إليه ، ويسجد نحوه ، ويعبد ، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك ، وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه ، وسائر أمته الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ، وذلك الشرك الأكبر فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم[2] .

قلت : وهذا يوضح مبلغ حرص النبي ﷺ على حماية جانب التوحيد وسد كل منافذ الشرك ، وإغلاق أبوابه ، أداء منه ﷺ للأمانة التي بعثه الله بها ، وتبليغًا لرسالته ـ فصلوات الله وسلامه عليه .

وقال الميلي : «مساواة هذه الأمة لمن قبلها في حكم السنن الإلهية :

إن ما وقع فيه العرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدين ، وبالغوا في التبرك بالصالحين ، فإن الله يقول : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح : ٢٣] . وعلماء الاجتماع يقولون : «التاريخ يعيد نفسه» ، والمتكلمون يحكمون بأن «ما جرى على المثل يجري على المماثل» .

---

(١) التمهيد : ١/ ١٦٨ .

(٢) التمهيد ٥/ ٤٥ .

فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدين إلى جهالة المشركين ، فمحاولة تبرئتهم من الشرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل .

ومن هنا نفهم العلة من النهي عن مشابهة اليهود والنصارى فإن تقليدهم في أقوالهم وأفعالهم يفضي إلى نفس النتائج ما دامت المقدمات واحدة ، فليست هذه الأمة معصومة ، إن وقعت فيما وقع فيه من سبقوها .

صور من الوثنية الحاضرة :

ألست ترى في أوساطهم قبابًا تبذل في شيدها الأموال ، وتشد لزيارتها الرحال ، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بدور تنعت بدار الضمان تستري بضمانتها بالأثمان؟ أم لم تجتمع بذرية نسب المرابطين إعطاؤها بقوة غيبية . أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدسون بصفتهم مرابطين أو طرقيين هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات ، أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدت الناس عن اتباع السنة المطهرة . والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره ، وتعدد مظاهره واثاره»[(١)] .

وقال : وإذا قيل للناس إن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان ، قالوا : إنكم تسبون الصالحين ! يا إخواننا افهموا لغة العرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء ، فإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم ، وكل من عبده فهو هالك ، وليس كل معبود من دون الله هالكا . قال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء ٩٨ ـ ١٠١] . فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى ولي صالح .

---

(١) رسالة الشرك للميلي ١٠٨ .

قلت : هكذا الحال مع أهل البدع فهم إذا جادلهم أحد ووعظهم قالوا له أنت تكره الأولياء والصالحين ، ظنًا منهم أن حجتهم تقتضي تعظيمهم وعبادتهم من دون الله تعالى .

تعيين مكان في النذر :

وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية ، فلو فرضنا أحدًا نذر لها شيئا فهو عاص بالوفاء به . فإن أضاف إليه التقرُّب من صاحبها فهو مشرك .

وقد أصبح الناس في جهاليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات ، الأموال والثياب والحيوانات والشموع والبخور والأطعمة وسائر المتمولات ، ويعتقدون أن نذرهم سبب يقربهم من رضى المنذور له ، وأن لذلك المنذور له دخلا في حصول غرضهم ، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقا بمن نذروا له واشتدت خشيتهم منه ، وبذلوا أقصى طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له ، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعويض الغنم بالظباء ، فالعرب مع أصنامهم أقل هيبة من هؤلاء مع أوليائهم ، وإن تساوى الفريقان في حق من ألهوه أكثر من اعتبار حق الإله الحق ، ذلك أن جاهليتنا على شدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لا يبالي مع ذلك بالصلاة أو بالزكاة ، أو بهما معًا ، ومن صلى وزكى لا ينكر على تاركهما ما ينكره على من تراخى في زيادة شيخ طريقة ، أو إقامة زردة أو أداء وعدة ، وكذلك ما حكاه القرآن عن العرب في آياته : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠]»[(١)] .

وقال : «إن الرزية كل الرزية[(٢)] ، والبلية كل البلية ، أم غير ما ذكرنا من التوسل المجرد ، والتشفع بمن له الشفاعة ، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٦٨ .

(٢) الرزية : المصيبة .

وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما ليقدر عليه إلا الله ، جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالاً ، ويصرخون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[١] .

وقال : «وقد يعبرون عن هذا الضرب من التبرك بالاستمداد[٢] من أرواح الصالحين ، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم ، ويتصرفون في العالم ، ويقضون حاجات قاصديهم ، ويستدل مستدلهم بما ورد في حياة الأرواح مما قدمنا أصحه وأصرحه . فيتخذون المزارات يبنون عليها البناءات ويرون أن روح الصالح فلان هنالك ، إما لأنه دفن هنالك أو جلس به ، بل تجد بناءات كثيرة على مزارات عديدة كلها منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد ـ رحمه الله ، وهو لم يعرف تلك الأمكنة ولا سمع بها . وهذه المزارات الجيلانية تجدها غربي وطن الجزائر أكثر منها في شرقه . أما أن يكون للصالح الواحد قبران فهذا نعرفه لغير الصالح .

وأشهرهم بوطننا الشيخ محمد بن عبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا . ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والمسح بالحيطان وكل ما يضاف إلى ذلك المكان»[٣] .

وقال : «نهى الرسول ﷺ عن الحلف بالمخلوق فأبى أكثر الناس إلا الحلف به . وأغلظ في النهي حتى بلغ به نهي الشرك والكفر فأجروا هذه اليمين على

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٦٨ .

(٢) المقصود بالاستمداد : طلب المد والزيارة .

(٣) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٤٤ .

ألسنتهم أكثر من اليمين بالله . وأمر من حلف بالله أن يصدق . فتلاعبوا باليمين الشرعية واحترموا اليمين الشركية»[١] .

قلت : وهذا أمر مشاهد في حياتنا اليومية نقابل كثيراً من الناس يحلفون بغير الله ، ويكذبون في الحلف بالله ، ويستهينون بمظاهر الشرك هذه . . .

وقال ابن عاشور : عن خطورة الشرك : «أكبر الاعتداء إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم ، لأن من حقه أن يفرد بالعبادة اعتقاداً وعملاً وقولاً ، لأن ذلك حقه على مخلوقاته ، ففي الحديث : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً[٢] . إلى أن قال : وذلك أن الشرك جميع بين الاعتراف لله بالإلهية والاعتراف لغيره بالربوبية أيضا ، ولما كان الاعتراف لغيره ظلمًا كان إيمانهم بالله مخلوطًا بظلم»[٣] .

(١) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ١٣/ ٣٤٧ ، ح(٧٣٧٣) من حديث معاذ ابن جبل .

(٣) التحرير والتنوير ٧/ ٣٣٢ ، ٣٣ .

الخلاصة :

جاء عن مالك وأصحابه النهي عن مظاهر وصور الشرك ، سواء في الربوبية كاعتقاد علم الغيب في أحد ، أو اعتقاد التصرف فيه ، أوإسناد شيء من الأمر إليه ، وكذلك في الألوهية كصرف شيء من العبادات لغير الله ، نحو النذر والتقرب وغيره . وكذلك النهي عن بعض صور الشرك الأصغر كالحلف بغير الله .

المناقشة :

س ١ : تكلم عن بعض مظاهر الشرك في الربوبية التي حذر منها مالك وأصحابه .

س ٢ : تكلم عن بعض مظاهر الشرك في الألوهية التي حذر منها مالك وأصحابه .

س ٣ : اذكر صورة من صور الشرك الأصغر التي انكرها مالك واصحابه رحمهم الله جميعًا .

الفصل الثاني :

شرح القيروانية الميسر
مقدمة القيرواني المسمى بمالك الصغير

بقلم
د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد ، فهذا الكتاب الثاني من سلسلة (عقائد أهل السنة والجماعة) وكان الأول في بيان عقيدتهم على مذهب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للطحاوي ، وهذا الكتاب في بيان عقيدتهم على مذهب الإمام مالك بن أنس لابن أبي زيد القيرواني ، وذلك حتى يتسنى لأتباع الأئمة الأربعة معرفة عقائدهم حتى يتبعوهم في الأصول كما يتعبونهم في الفروع ، وذلك لأن الواقع يخبر أن كثيراً منهم متابع لإمامه في الفروع مخالف له في الأصول ، هذا مع إننا نقول إن

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان ٧٠ ، ٧١ .

الأئمة الأربعة متفقون في مسائل أصول الدين ، وهذا هو الحق في هذا الباب ، فلم التفرقة بين الأصول والفروع؟ بل الواجب عليكم أن تتبعوهم في مسائل الأصول كما اتبعتموهم في الفروع ، ومن الأدلة على اتفاق الأئمة في مسائل أصول الدين ، أن هذه العقيدة هي نفس ما قرره الطحاوي عن أبي حنيفة وصاحبيه ، اللهم إلا ما ورد في مسألة (مسمى الإيمان) والتي خالف فيها أبو حنيفة الأئمة الثلاثة والحق معهم ، ومع ذلك فقد قال ابن أبي العز إن الخلاف لفظي فقط ، ومؤلف هذا المتن هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفراوي القيرواني المولود سنة ٣١٠هـ شيخ المالكية بالمغرب ، وله باع طويل في العلم ، وانتفع به الناس حتى سمي (مالك الصغير) ، وله مواقف مشهورة ضد أهل البدع ، وقد اشتد نكيره عليهم ، وأثنى عليه كثير من أهل العلم ، وله تصانيف كثيرة ، وكان سلفيا في عقيدته وسلوكه ، توفي في شعبان سنة ٣٨٦هـ ، ودفن بالقيروان رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ومنهجي في شرح هذا المتن كما سبق في شرح العقيدة الطحاوية حيث أبدأ بذكر المتن ثم الكلام عن الألفاظ المبهمة ، ثم الشرح الميسر ، وبعد ذلك الخلاصة ، فالمناقشة .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يغفر لمؤلفه وشارحه وناشره وقارئه والمنتفع به .

(وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين).

الدكتور

محمد بن عبدالرحمن الخميس

الفقرة الأولى

باب : ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات :

* من ذلك الإيمان بالقلب ، والنطق باللسان بأن الله إله واحد لا إله غيره ، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا شريك له .

اللغة : (باب) : الباب من البيت مدخله ، ومن الكتاب القسم يجمع مسائل من جنس واحدة ، (الأفئدة) : القلوب ، (نظير) : النظير هو المثل والمساوي ، (صاحبة) : زوجة ، (شريك) : مشارك له نصيب في الملك والتدبير .

الشرح : هذا بيان الأمور التي تجري على ألسنة الموحدين وتعتقدها قلوبهم من مسائل أصول الدين ، وهي أمور الاعتقاد الآتي ذكرها :

(من ذلك الإيمان بالقلب) : أي التصديق الجازم الواثق الذي لا يخالطه شك أو ريب ويستقر في القلب استقراراً لا يزحزحه شيء (والنطق باللسان) ثم يواطيء اللسان القلب ويوافقه في هذا التصديق ، فيقر ويعترف (بأن الله إله واحد) ، بأن الله ـ عز وجل ـ إله واحد في كل شيء ، فهو واحد في ذاته لا يتعدد ، واحد في ربوبيته فليس لغيره شيء من الملك والخلق والأمر والتدبير والتصريف ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾(٢) ، وكذلك فإنه سبحانه واحد في أسمائه

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (٥٤) .

(٢) سورة سبأ ، الآيتان : (٢٢ ، ٢٣) .

وصفاته ، لا يشاركه في حقيقة معانيها ، وفي كيفياتها شيء من خلقه ، وهو واحد في استحقاقه للعبودية (لا إله غيره) ، أي لا مستحق للعبادة غيره ، أما المعبودات غيره ، فكثيرة ، لكنها آلهة باطلة لأنها لا تملك شيئًا من الأمر ، كما قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(١) ، والعبادة الحقة هي عبادة الله وحده : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾(٢) .

(ولا شبيه له ولا نظير له) أي لا شبيه له في ذاته ، ولا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣) ، فالله ـ تعالى ـ لا مكافيء له في شيء من ذلك على الإطلاق كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٤) ، (ولا ولد له ولا والد له) : كما قال الله ـ عز وجل : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾(٥) ، وكما قال ـ عز وجل : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾(٦) ، والآيات في الباب كثيرة تدل على أن الله عز وجل منزه عن الولد والوالد ، وأنه ليس كخلقه في ذلك . (ولا صاحبة له) : أي ليس له صاحبة وهي الزوجة بخلاف خلقه ، وقد نفى ذلك عن نفسه ـ عز وجل ـ فقال : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾(٧) . (ولا شريك له) ، أي ولا شريك له في شيء مما ذكر سلفًا ، والشرك بكل صوره قد نفاه الله ـ تعالى ـ حتى أدنى تلك الصور كما في الآيات السابقة من سورة

---

(١) سورة النحل ، الآية : (٧٣) .

(٢) سورة الحج ، الآية : (٦٢) .

(٣) سورة الشورى ، الآية : (١١) .

(٤) سورة الإخلاص ، الآية : (٤) .

(٥) سورة الإخلاص ، الآية : (٣) .

(٦) سورة المؤمنون ، الآية : (٩١) .

(٧) سورة الجن ، الآية : (٣) .

سبأ ، وقد حرم الله الإشراك به ، وتوعد عليه بالعذاب المهين الدائم ، وبيّن أنه لا يغفره أبدا لفاعله ، وذلك كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] .

الخلاصة :

مما يجب اعتقاده وهو الإقرار به من مسائل أصول الدين :

الإقرار لله تعالى بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتنزيهه سبحانه عن الشريك والنظير والشبيه ، والولد والوالد والصاحبة .

المناقشة :

١ ـ هل يكفي اعتقاد الوحدانية بالقلب دون الإقرار باللسان؟

٢ ـ اذكر بعضا من الأمور التي يجب توحيد الله فيها .

٣ ـ اذكر بعضاً مما يجب تنزيه الله عنه .

(١) سورة النساء ، الآية : (٤٨) .

الفقرة الثانية

*** ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون.**

اللغة: (كنه): كنه الشيء حقيقته وماهيته، (ولا يحيط بأمره): أي لا يدرك حكمته في أمره ولا حقيقة ذاته وما يتعلق به.

الشرح: (ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء): كما قال - عز وجل - ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾(١). فهو سبحانه أول بلا بداية، وقبله كل شيء، وآخر بلا نهاية، وبعد كل شيء، لم يسبقه شيء، وليس لوجوده بداية أصلاً، وكذلك يفنى خلقه جميعًا ولا يبقى غير وجهه الكريم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٢)، وقال - عز وجل -: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٣). وفي الحديث: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء»(٤).

(ولا يبلغ كنه صفته الواصفون): أي مهما اجتهد الناس فلن يستطيعوا معرفة حقيقة صفته وكيفيتها، وذلك لأنها أمور غيبها الله تعالى عن خلقه، وأهل الحق أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة يقتصرون على وصف الله بما وصف به نفسه من دون الدخول في الكيفية، فإنها مما استأثر الله بعلمه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٥)، وهم إن كانوا يفهمون معاني الصفات من لغتهم إلا أن كيفية تحقق هذا المعنى في حق الله

---

(١) سورة الحديد، الآية: (٣).

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: (٢٦، ٢٧).

(٣) سورة القصص، الآية: (٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٤١، ٤٢) كتاب التهجد، باب التهجد بالليل. ومسلم (١/ ٥٣٢) كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٦٩).

(٥) سورة طه، الآية: (١١٠).

تعالى وهو الكيفية فإنهم لا يخوضون في شأنها ، ويفوضون علمها لله ـ عز وجل :(**ولا يحيط بأمره المتفكرون**) ، أي مهما تفكَّر المتفكرون في حقيقة أمر الله تعالى ، في ذاته ، في أسمائه ، في صفاته ، في أفعاله ، في حكمته من تشريع كذا وتحريم كذا ، في مراده من إنزال البلاء بشخص معين ، فلن يحيطوا بأمره سبحانه وتعالى كما قال : ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**﴾[1] ، وقال : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ .

*** يعتبر المتفكرون بآياته ، ولا يتفكرون في ماهية ذاته ، (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)**[2] .

اللغة : (يعتبر) يتعظ ويستفيد العبرة (ماهية) حقيقة . (ولا يؤوده) لا يشق عليه أو يعجزه .

الشرح : والمتفكرون إنما يعتبرون فقط بآيات الله تعالى في خلقه ، كما قال ـ عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[3] ، فآيات الله تعالى في خلقه لا تعد ولا تحصى ، في السموات والأرض ، وفي الأنفس وفي كل شيء ، كلها دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وعظمته وحكمته ، والمتفكرون يعتبرون بها ، لكنهم لا يستطيعون معرفة كنه ذاته سبحانه : (**ولا يتفكرون في ماهية ذاته**) ، ولو فعلوا ما خرجوا بطائل إذ أن ذلك مما لا تدركه العقول ، ولا يمكن أن تصل فيه إلى نتيجة ، والواجب على المسلم أن يتفكر في آيات الله وآلائه ، وأن لا يتفكر في ذاته فيهلك :

---

(١) سورة طه ، الآية : (١١٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٥) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : (١٨٥) .

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ، فلا يعلمون شيئًا عن ذاته وأسمائه وصفاته وحكمته إلا ما أعلمهم ، بل ولا يعلمون شيئًا من أمور الدين والدنيا إلا ما شاء أن يعلموه : ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾[1] ، والكرسي خلق عظيم هائل ، وهو موضع القدمين والسموات والأرض بجواره كحلقة في أرض فلاة ، ولا يعلم حقيقة خلقه إلا الله تعالى : ﴿**ولا يؤوده حفظهما**﴾ أي لا يشق عليه حفظهما وتدبر أمورهما وخلقهما ولا يعجزه ذلك بأي حال : ﴿**وهو العلي العظيم**﴾ ، فإنه سبحانه عليّ بذاته عن خلقه ، إذ هو مستو على عرشه فوق السماء ، وهو سبحانه عليّ على خلقه علو قهر وغلبة ، وهو العليُّ في شأنه ومكانته ، وهو المتفرد بكل صفات العظمة والجلال ، سبحانه وتعالى .

الخلاصة :

١ ـ الله تعالى أول قبل كل شيء ، وآخر بعد كل شيء .

٢ ـ لا يحيط أحد من الخلق بالله تعالى علمًا ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء .

٣ ـ إن كرسي الرحمن قد وسع السموات والأرض ، ولا يعجز الله حفظهما .

٤ ـ من أسمائه ـ تعالى ـ : العلي ، العظيم ، وكذلك : الأول ، الآخر .

المناقشة :

١ ـ هل كان هناك شيء قبل الله تعالى؟ وهل هناك شيء بعده؟

٢ ـ ما هو الكرسي؟ وما مقدار عظمته؟

٣ ـ هل يحيط أحد علمًا بالله تعالى أو بكنه؟

٤ ـ اذكر بعضًا مما درست من الأسماء الحسنى .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٥) .

الفقرة الثالثة

* **العالم الخبير، المدبر القدير، السميع البصير، العلي الكبير .**

اللغة : ....

الشرح : (العالم الخبير) إن الله عز وجل هو العالم بكل شيء في السموات والأرض، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١)، وهو الخبير بكل شيء الذي لا تغيب عنه غائبة كما قال تعالى : ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢) (المدبر القدير) فالله - عز وجل - هو الذي ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾(٣)، فهو المدبر والذي يجري كل شيء بأمره وعلمه، والقدير الذي لا يعجزه شيء، فهو على ما يشاء قدير، وإذا أراد أمرًا أوجده بقدرته (السميع البصير)، وصفة السمع وصفة البصر صفتان حقيقيتان ثابتتان لله تعالى، وقد عاب إبراهيم على أبيه أنه عبد إلهًا لا يسمع ولا يبصر، فقال تعالى حكاية عنه : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾(٤)، كما أثبت لنفسه ـ تعالى ـ السمع والبصر، فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(٥)، غير أنه تعالى يسمع لا كسمعنا ويبصر لا كبصرنا، بل يسمع ويبصر على المعنى اللائق بجلاله وكماله وعظمته، وهذا منهج أهل الحق إثبات المعاني الحقة التي دلت عليها الصفة، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق، كما قال ـ تعالى ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٦)، فتضمنت الآية إثبات الصفة مع التنزيه عن المشابهة والمماثلة (العلي الكبير) : تضمنت تسميته سبحانه بالعلي الكبير، ووصفه بالعلو من كل جانب في ذاته وشأنه وقهره، وهو الكبير سبحانه وتعالى الذي هو أكبر من كل شيء إذ إن السموات والأرض إلى جانب كرسيه كحلقة في أرض فلاة .

---

(١) سورة فاطر، الآية : (٣٨) . (٢) سورة يونس، الآية : (٦١) . (٣) سورة السجدة، الآية : (٥) .
(٤) سورة مريم، الآية : (٤٢) . (٥) سورة النساء، الآية : (٥٨) . (٦) سورة الشورى، الآية : (١١) .

*** وأنه فوق عرشه المجيد بذاته ، وهو بكل مكان بعلمه ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد .**

اللغة : (المجيد) : الوافر المجد . (الوريد) : هو كل عرق يحمل الدم من الجسد إلى القلب .

الشرح : (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته) : كلمة (بذاته) لم تعرف عن السلف قبل القرن الثالث الهجري ، والذي دعا المؤلف إلى إطلاق كلمة (بذاته) هو أن المعطلة لما قالوا إن الاستواء مجاز صرح بأنه مستو بذاته مبالغة في إثبات استواء الله عز وجل على عرشه على الحقيقة هذا هو القول الحق ، كما ذكر الله ذلك في سبعة مواضع من كتابه ، أنه استوى على عرشه فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1] ، وهو سبحانه مستغن عن العرش وما دونه لا يحتاج إلى شيء ، وهذا من المؤلف رد على القائلين بالحلول والاتحاد ، والجحود ، فالحلولية من زعموا أن الله تعالى في كل مكان ، وليس على عرشه فوق السماء ، وأما الاتحادية فزعموا أن الله كل شيء ، وأما الجحودية ، وهم المعتزلة والماتريدية والأشعرية فهم يقولون : إن الله لا داخل العالم ولا خارج ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام . فهؤلاء الفرق كلهم ضلوا وأضلوا وأعظمهم ضلالاً وإضلالاً الجحودية ثم الوجودية ثم الحلولية ولذا يقال :

---

(١) سورة طه ، الآية : (٥) .

المشبه يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا والوجودية والحلولية يعبدون كل شيء ، والمعطل الجحودي لا يعبد شيئًا بل يعبد معدومًا وممتنعًا ، وكلهم مخالفون للحق .

إن الله تعالى مستو على عرشه فوق السماء السابعة وهذا هو اللائق بعظمته وجلاله ، وهو ما فطرت عليه الأنفس حيث يرفع الداعون أيديهم إلى السماء عند الدعاء (وهو بكل مكان بعلمه) ومع كونه سبحانه فوق عرشه فلا يخلو مكان من علمه وسمعه وبصره كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(١) ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(٢) ، يقول : هو يسمعكم ويراكم أينما تكونوا وعلمه لا يفارقكم على كل حال ، فلا تخفى عليه من أموركم خافية ، ولا تنافي بين علو ذاته ، وبين قربه بسمعه وبصره وعلمه .

خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد(٣) ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(٣) فالله ـ تعالى ـ هو الخالق ويعلم خلقه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٤) ، فيعلم كل ما يخطر ببال الإنسان وكل ما يفكر فيه : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾(٥) ، وهو أقرب إلى قلب الإنسان من وريده الذي بداخله ، وذلك بعلمه وسمعه وبصره كما سبق .

*** وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى .**

---

(١) سورة طه ، الآية : (٤٦) .

(٢) سورة الحديد ، الآية : (٤) .

(٣) سورة ق ، الآية : (١٦) .

(٤) سورة تبارك ، الآية : (١٤) .

(٥) سورة طه ، الآية : (٧) .

اللغة : . . . .

الشرح : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ، لو وقعت ورقة من شجرة في ظلام الليل فالله يراها ويعلم بشأنها ، ﴿**ولا حبة في ظلمات الأرض**﴾ ، فما من حبة في باطن الأرض إلا والله يعلمها ويحفظها ، ﴿**ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ فليس هناك شيء في ملكه كبر أو صغر إلا وهو يعلمه ويراه ـ سبحانه ـ كما قال سبحانه ـ : ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾[1] ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2] .

(على العرش استوى) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[3] ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[4] ، وغير ذلك في مواضع أخرى ، وأهل الحق يقولون : استوى على العرش استواء يليق بكماله وجلاله ، ويفوضون كيفية ذلك إلى الله ، ولا ينفون عن الله صفته التي أثبتها لنفسه ، كما نفاها المعطلة الذين فسروا الاستواء بأنه استيلاء فانتقصوا جلال الله ـ تعالى ـ وحرفوا الكلم عن مواضعه وقالوا على الله تعالى بغير علم قبحهم الله . (وعلى الملك احتوى) فالله ـ تعالى ـ له الملك كله كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾[5] فهو تعالى محيط بملكه ولا يحيط به شيء ـ جلَّ وتعالى ـ عن أن يحيط به شيء من خلقه .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : (٥٩) .

(٢) سورة يونس ، الآية : (٦١) .

(٣) سورة طه ، الآية : (٥) .

(٤) سورة الحديد ، الآية : (٤) .

(٥) سورة المائدة ، الآية : (١٢٠) .

الخلاصة :

١ ـ إن الله تعالى هو العالم الخبير ، المدبر القدير ، السميع البصير ، العلي الكبير .

٢ ـ الله تعالى مستوٍ على عرشه ، وعلمه في كل مكان ، ولا يخفى عليه من عباده خافية .

٣ ـ يعلم غيب السموات والأرض ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة .

المناقشة :

١ ـ اذكر بعضًا من أسماء الله تعالى .

٢ ـ هل الاستواء يقصد به معناه الحقيقي أم لا؟

٣ ـ هل يخفى مثقال ذرة على الله تعالى؟

الفقرة الرابعة

* وله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه ، - تعالى - من أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة .

اللغة : (محدثة) كائنة بعد أن لم تكن .

الشرح : (وله الأسماء الحسنى) كما قال - تعالى - : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾(١) ، فالله - تعالى - سمّى نفسه بأسماء وسماه رسوله الكريم بأسماء ، وجب علينا أن نسميه بها - سبحانه وتعالى - وهي دالة على كل معاني العظمة والجلال والكمال والجمال على الوجه اللائق به - سبحانه ، ومن شاركه من خلقه في اسم من أسمائه ، كما يقال : الله سميع بصير ، والإنسان خلق سميّعا بصيراً ، فإنما هو اشتراك في اللفظ فقط ، وإلا فإن معنى السمع والبصر عند الله يختلف عن معناه عند الإنسان كاختلاف ذات الله عن ذات الإنسان (والصفات العلى) ، وكذلك فإنه سبحانه موصوف بكل صفات الكمال والعظمة، متنزه عن كل صفات النقص والعيب لا نصفه إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسول الله ﷺ ، من دون أن نلحظ في صفاته فننفي ما دلت عليه ، أو نفسرها بغير حقيقتها ، أو نشبه الله بخلقه في صفته ، فإنه من شبه الله - تعالى بخلقه - كفر : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٢) .

(لم يزل بجميع صفاته وأسمائه) أي أن صفاته سبحانه وتعالى وأسماءه أزلية بلا بداية كذاته - سبحانه وتعالى - ، إذ أن الصفة فرع عن الذات ، وقد يقال : إن هذا في الصفات الذاتية ، وأما الصفات الفعلية فإنها عند جمع من أهل العلم

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٨٠) .

(٢) سورة الشورى ، الآية : (١١) .

أزلية النوع حادثة الآحاد ، والأولى البعد عن هذه الاصطلاحات الحادثة بعد الصدر الأول .

(تعالى على أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة) : تقدس ـ تعالى ـ وتنزه عن أن تكون صفاته مخلوقة كصفات المخلوقين وأسماؤه حادثة كأسمائهم بل إنها أزلية بذاته ـ سبحانه وتعالى ـ فرع عن ذاته ، والحادث بعد العدم ناقص والله ـ تعالى ـ لا يطرأ عليه نقص حاشا لله ، بل هو متصف بكل صفات العظمة والكمال ، ومنها صفة الأزلية .

*** كلَّم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته ، لا خلق من خلقه ، وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله .**

اللغة : (تجلى) : ظهر .

الشرح : وقوله : (صفة ذاته) . فيه تفصيل وهو :

أن الكلام من حيث إن الله موصوف : أزلاً وأبدًا وهو لم يزل ولا يزال متكلمًا . صفة ذاتية ، ومن حيث إنه يتجدد وأنه يتكلم متى شاء أو كيف شاء صفة فعلية .

(كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته) كما قال ـ تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[1] ، وأكد ذلك بالمصدر الذي هو (تكليما) فهو كلام حقيقي على اللائق بجلال الله ـ تعالى ـ ، ولو لم يكن كلامًا حقيقيًا ما كانت هناك فضيلة لموسى عليه السلام بذلك ، ولا كان له اختصاص بتكليم الله إياه ، وأهل السنة يقولون إن الله تعالى لم يزل متكلمًا وقتما يشاء ، وكيفما يشاء ، بصوت وحرف ، ليس ككلام خلقه ، وكلامه تعالى صفته ، وصفته غير مخلوقة ، ومن زعم أن كلام الله مخلوق فقد كفر ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر ، بل

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٦٤) .

هو كلام الله على الحقيقة (لا خلق من خلقه) أي أن كلام الله ـ تعالى ـ ليس مخلوقا مثل المخلوقات ، بل هو صفة من صفاته تعالى على الوجه اللائق به .

(وتجلى للجبل فصار دكًا من جلاله(كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1] ، لما تجلى الجبار ـ سبحانه وتعالى ـ اندك الجبل واستوى بالأرض من عظمة الله وجلاله ، فإن الله ـ تعالى ـ لا يقوى شيء على رؤيته في الدنيا ، وإنما يراه المؤمنون في الجنة دون بأس كما سيأتي أما في هذه الدنيا فليس شيء يقوى على رؤية الحق ـ عز وجل .

الخلاصة :

١ ـ الله تعالى ـ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وأسماؤه وصفاته موجودة بوجوده غير محدثة .

٢ ـ صفة الكلام صفة ثابتة لله ـ تعالى ـ حقيقة لا مجازاً .

٣ ـ لا يقوى شيء على احتمال رؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا .

المناقشة :

١ ـ هل أسماء الله وصفاته أزلية أم محدثة؟

٢ ـ هل يتكلم الله تعالى بكلام حقيقي أم لا؟

٣ ـ ما الذي يمكن أن يتحمل رؤية الله تعالى في الدنيا؟

---

(١) سورة الأعراف ، الآية :(١٤٣) .

الفقرة الخامسة

*وأن القرآن كلام الله ، ليس بمخلوق فيبيد ، ولا صفة لمخلوق فينفد .

اللغة : (يبيد) يهلك وينمحي . (ينفد) : يفرغ وينتهي وينقضي .

الشرح : (وأن القرآن كلام الله) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(١) ، فالقرآن كلام الله على الحقيقة ، منه بدأ وإليه يعود ، وقد توعد الله من قال بأنه كلام البشر ، فقال في حقه : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾(٢) ، وقد زعمت الجهمية أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله : (ليس بمخلوق فيبيد) الفناء صفة المخلوقات إلا ما شاء الله ، فالمخلوق المحدث يبيد ، والقرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق ، والكلام صفة الله ـ تعالى ـ على الحقيقة ، وصفات الله ليست مخلوقة ، كما أنها لا تبيد ، بل هي باقية ببقاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ (ولا صفة لمخلوق فينفد) فالقرآن كلام الله ، والكلام صفة من صفاته فهي باقية ببقائه ، فلم يزل الله متكلماً متى شاء وكيف شاء ، وكلامه لا ينفد كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾(٣) ، وقال : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾(٤) ، فكلام الله لا ينفد ، وأما كلام المخلوقين فإنه ينفد ويندثر بهلاكهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (٦) .

(٢) سورة المدثر ، الآية : (٢٦) .

(٣) سورة لقمان ، الآية : (٨٧) .

(٤) سورة الكهف ، الآية : (١٠٩) .

الخلاصة :

١ ـ القرآن كلام الله ـ تعالى ـ غير مخلوق .

٢ ـ كلمات الله ـ تعالى ـ غير مخلوقة ، ولا تنفد أبدا .

المناقشة :

١ ـ ما قولك في القرآن؟ هل هو مخلوق؟

٢ ـ هل تنتهي كلمات الله في وقت من الأوقات؟

الفقرة السادسة

* والإيمان بالقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره ، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ، ومصدرها عن قضائه .

اللغة : ....

الشرح : (والإيمان بالقدر) ، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة ، ومن أصول الإيمان الستة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(١) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾(٢) ، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾(٣) ، فكل شيء كائن في هذا الكون إنما قدره الله وقضاه ، (خيره وشره ، حلوه ومره) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(٤) ، فالخير والشر مقدران وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يمكن أن يحدث شيء في هذا الكون إلا إذا أراده الله تعالى ـ ، وكون الشيء أي وجوده ـ في حد ذاته دليل على أن الله قدره وقضاه ، هذا وأن الإيمان بالقدر على أربع درجات : الأولى : أن الله علم كل شيء ، وذلك قبل أن يخلق السموات والأرض ، الثانية : الكتابة فالله ـ تعالى ـ كتب كل ما هو كائن من خير أو شر ، صغير أو كبير ، كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما ثبت في الحديث : «أول ما خلق الله القلم ، قال : اكتب . قال : يا رب وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»(٥) . والمرتبة الثالثة للإيمان

---

(١) سورة القمر ، الآية : (٤٩) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية : (٢) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : (٣٨) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (٧٨) .

(٥) أخرجه أبو داود في السنة باب في القدر (٤٧٠٠) والترمذي في القدر (١٢٥٦) وفي التفسير (٣٣١٦) . وهو حديث صحيح

بالقدر هي الإيمان بالإرادة المقتضية لكون الشيء ، فالله تعالى أراد أن توجد الأشياء فوجدت كما أراد لا خروج لأحد عن إرادته إلا بإذنه ، فما شاء الله كان وما لم يشأ يكن ، وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(١) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢) ، والآيات في هذا المقام كثيرة لا تحصى .

والمرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر هي الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ خلق كل شيء وأوجده على ما علم وكتب وأراد ، فإذا حصل خير فالله ـ تعالى ـ هو الذي خلقه وأوجده ، وإذا وجد شر فالله ـ تعالى ـ قد أراد الشر أو خلقه ، وقالوا إن الإنسان هو الموجد للشر ، فجعلوا الإنسان خالقا مع الله ـ تعالى ـ في نهاية الأمر .

فهذه أربع مراتب للإيمان بالقدر ، من كفر بواحدة منها كان كافراً بالقدر ، ومن كفر بالقدر كان كافراً بالله العظيم ، وهذا من كمال الاعتقاد الحسن في الله العظيم ، أن يعتقد الإنسان بأنه ليس هناك شيء خارج عن إرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته ، من اهتدى فالله هداه بفضله ، ومن ضل فالله اضله بعدله ، وكل شيء جار على ما أراد الله ـ تعالى ـ وقدر : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(٤) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (٣٩) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : (٢٣) .

*** علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره ، لا يكون من عباده قوله ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ .**

اللغة : . . . .

الشرح : (علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره) ، وذلك كما سبق ، فإن علم الله - تعالى - قد أحاط بكل شيء ، فعلم الأشياء قبل خلقها ، وذلك على وجه الإجمال والتفصيل ثم جرت هذه الأشياء ووجدت وكانت وفق علم الله وإرادته وخلقه ، فكل شيء مخلوق بقدر : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١) .

(لا يكون من عباده قول ولا علم إلا وقد قضاه وسبق علمه به) ، فلا يمكن أن يحدث شيء في هذا الكون من أقوال أو أفعال صالحة أو غير صالحة إلا وقد سبق قدر الله وعلمه بها ، والله - تعالى - لم يرد الشر شرعا بل نهى عنه وحذر منه كما قال - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾(٢) ، وكما قال - تبارك وتعالى - : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(٣) ، ولكن الشر مراد حدوثه كونًا وقدرًا ، أي بما قدر الله وأراد في الأزل ، لا شرعًا أي أن الشر غير مراد ولا مطلوب في الشرع - الكتاب والسنة - ولكنه مراد كونًا لحكمة بالغة قضاها ربنا - سبحانه وتعالى - ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(٤) ، ولكن كل شيء كائن عم أمره وقضائه : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾(٥) ، والذي ينفي أن الله قد قدر حدوث الشرّ أراده لحكمة ، إنما يدعي أن الله - تعالى - لم يرده وأن الإنسان قد أحدثه بإرادته ،

---

(١) سورة القمر ، الآية : (٤٩) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٢٨) .

(٣) سورة الزمر ، الآية : (٧) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : (٢٣) .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٧٨) .

فغلبت إرادة الإنسان إرادة الخالق ! نعوذ بالله من الخذلان ، ثم إن الذي ينفي العلم إنما ينفي عن الله - تعالى - صفة كمال ويرميه بضدها من النقص والعياذ بالله : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١) .

الخلاصة :

١ - يجب الإيمان بالقدر بكل مراتبه ، وهو من أركان الإيمان الستة .

٢ - كل شيء حادث في هذا الكون من المخلوقات فإنه مخلوق موجود بإذن الله وقضائه ومشيئته .

المناقشة :

١ - ما معنى الإيمان بالقدر؟ وما حكمه؟

٢ - تكلم عن مراتب الإيمان بالقدر .

٣ - ما حكم من أنكر إحدى مراتب القدر؟

٤ - هل يحدث شيء بغير إذن الله تعالى وقضائه؟

---

(١) سورة تبارك ، الآية : (١٤) .

الفقرة السابعة

*** يضل من يشاء فيخذله بعدله ، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله ، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه ، وقدره من شقي أو سعيد ، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد ، أو يكون لأحد عنه غنًا ، خالقًا لكل شيء ، ألا هو رب العباد ورب أعمالهم ، والمقدر لحركاتهم وآجالهم .**

اللغة : (فيخذله) المقصود أي يحرمه الهداية والتوفيق والتسديد . (غنًا) : استغناء وعدم احتياج .

الشرح : (يضل من يشاء فيخذله بعدله ، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله) ، من أراد الله تعالى أن يخذله وأن يضله ويحرمه الهداية فعل ، وذلك عدل منه ووضع للضلالة في الموضع اللائق بها ، فإن العدل وضع الشيء في موضعه ، ولما سبق لهم في علم الله - تعالى - وتقدره ، ومن اختار الضلالة زاده الله منها ووفقه لأسبابها والاستزادة منها ، وذلك محض العدل منه - عز وجل - ومن يشاء الله هدايته وفقه للهداية وللأخذ بأسبابها ، وهذا كما أنه عدل أيضًا لأنه وضع للهداية في المحل اللائق بها ، فإنه فضل من الله ، لأنه لو تركه دون رسول أو شرع لضل ضلالاً مبينًا ، ولما عرف كيف يعبد ربه تعالى وكيف يلتمس رضاه ، والهداية والضلال كلاهما من الله كما قال - عز وجل - : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] ، وقال - تعالى - : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : (١٢٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية : (٩٣) .

(فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد) ، وهذا كما قال النبي ﷺ : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(١) ، فكل إنسان يعمل فيما يسبق به علم الله ـ تعالى ـ وقدره ، لا خروج لأحد عما قدره الله ـ تعالى ـ ، وقد ورد في الحديث أن الملك يكتب للإنسان في بطن أمه بأمر الله : شقي أو سعيد»(٢) ، فلا يمكن أن يخرج إنسان عما قدر الله له من السعادة أو الشقاوة ، بل كل إنسان يعمل ويكدح فيما قدر له ، ولا يخرج شيء عن مشيئة الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٣) .

(تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد) : سبحانه وتعالى عن أن يحدث في ملكه شيء رغم إرادته ، فهذا أمر لا يتصور بل إذا شاء الله أمراً كان ، وإن لم يشأ لم يكن .

(أو يكون لأحد عنه غنًى): كما قال ـ تعالى ـ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٤) ، فلا غناء لأحد عن الله طرف عين ، بل إن كل إنسان مفتقر إلى الله ـ تعالى ـ في خلقه وتدبير أموره وهدايته لما فيه مصلحته في الدنيا والآخرة .

(خالق لكل شيء) : كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(٥) ، فما من شيء في السموات والأرض إلا والله خالقه ، فالشيء إما أن يكون خالقاً أو مخلوقاً ، ولما كان الله هو الخالق لا خالق غيره ، تعين أن يكون ما سواه مخلوقا مربوبا له : (ألا هو رب العباد ورب أعمالهم) ، كما قال تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢١٢) كتاب القدر . ومسلم (٤ , ٢٠٤٠) ، كتاب القدر رقم (٢٦٤٧) .
(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٢١٠) كتاب القدر . ومسلم (٤/ ٢٠٣٦) كتاب القدر ، رقم (٢٦٤٣) .
(٣) سورة التكوير ، الآية : (٢٩) .
(٤) سورة فاطر ، الآية : (١٥) .
(٥) سورة الزمر ، الآية : (٦٢) .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] ، فأعمال العباد مخلوقة لله تعالى قدرها وكتبها ، وأرادها وخلقها بقدرته وعلمه وحكمته : (والمقدر لحركاتهم وآجالهم ، فالله ـ تعالى ـ هو الذي قدر الحركات والسكنات وكل شيء وخلقهم ، وهو الذي قدر الآجال للعباد ، وكتب أجل كل مخلوق قبل خلق السموات والأرض : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٢] .

الخلاصة :

١ ـ الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله .

٢ ـ كل إنسان ميسر لما خلق له .

٣ ـ لا يكون شيء في الكون بغير قضاء الله ، ولا يستغني أحد عن الله ـ تعالى .

٤ ـ الله ـ تعالى ـ هو خالق الناس وأعمالهم ، ومقدر الحركات والسكانات .

المناقشة :

١ ـ هل يمكن أن يضل الله أحداً؟

٢ ـ هل يستطيع شيء أن يستغني عن الله ـ تعالى ـ ؟

٣ ـ من الذي خلق أعمال العباد؟ ومن الذي قدر آجالهم؟

---

(١) سورة الصافات ، الآية : (٩٦) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٣٤) .

الفقرة الثامنة

* الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد نبيه ﷺ فجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً ، وأنزل عليه كتابه الحكيم ، وشرع بدينه المستقيم وهدى به الصراط المستقيم .

اللغة : (سراجًا منيرًا) : السراج هو المصباح الذي يستضاء به ، (الصراط) الطريق .

الشرح : (الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾(١) ، فالرسل شهداء على أقوامهم بأنهم أبلغوهم وأقاموا عليهم الحجة ، بحيث لم يعد لهم شبهة إنما هو العناد والاستكبار .

(ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد ﷺ فجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرا) كما قال ـ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(٢) ، فالرسول ﷺ هو آخر الرسل كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٣) ، فكل من ادعى النبوة لنفسه أو لغيره بعد النبي ﷺ كفر وخرج من الإسلام ، وكذلك فالنبي ﷺ شاهد على الناس بالبلاغ ، مبشر لمن أطاعه بالجنة ، ونذير لمن عصاه بالنار ، وهو السراج المنير الهادي إلى

---

(١) سورة النساء ، الآية : (١٦٥) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآيتان : (٤٥ ، ٤٦) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .

الصراط المستقيم : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[١] . ﴿**وأنزل عليه كتابه الحكيم**﴾ ، وهو القرآن الحكيم الكريم ، الذي فيه الهداية لكل خير في الدين والدنيا ، والتحذير من كل شر في الدين والدنيا ، (وشرع بدينه المستقيم وهدى به الصراط المستقيم) ، فالله ـ تعالى ـ شرع لرسوله أكمل شريعة وأحسنها ، وهداه إلى أقوم الطرق وأعدلها في أمور الدين والدنيا .

الخلاصة :

١ ـ إن الله ـ تعالى ـ بعث الرسل مبشرين ومنذرين لإقامة الحجة على الناس .

٢ ـ آخر الرسل هو محمد ﷺ .

٣ ـ النبي ﷺ هو البشير النذير ، والسراج المنير .

٤ ـ أنزل الله عليه القرآن ، وشرع له أحسن دين وأقوم شرع .

المناقشة :

١ ـ ما مهمة الرسل؟

٢ ـ من آخرهم ؟

٣ ـ ما اسم الكتاب الذي أنزل عليه؟

٤ ـ ما منزلة هذا الكتاب مما قبله من الكتب؟

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٤ .

الفقرة التاسعة

* وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من يموت ، كما بدأهم يعودون .

اللغة : (لا ريب فيها) لا شك فيها .

الشرح : (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) الساعة هي القيامة ، وهي اليوم الآخر ، ولا يعلم علمه إلا الله ، كما قال - عز وجل - : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[1] ، وقال - تعالى - : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي﴾[2] . والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة ، من أنكره فهو كافر بالله العظيم كما قال - تعالى - : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ فهو اليوم الآخر لا شك في مجيئه كما قال - تعالى -:﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾[4] ، (وأن الله يبعث من يموت) ، كما قال - تعالى - : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[5] ، وقال - عزّ وجل - : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6] فالله - تعالى - يبعث الناس بعد موتهم بأرواحهم وأبدانهم فيحاسبهم على ما عملوا ويجزيهم على أعمالهم ، فيثيب المحسن ويعاقب المسيء ، ومن أنكر البعث كفر لقوله - تعالى - : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ

(١) سورة لقمان ، الآية : (٣٤) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (١٨٧) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (١٣٦) .

(٤) ، (٥) سورة الحج ، الآية : (٧) .

(٦) سورة النحل ، الآية : (٣٨) .

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١) ، (كما بدأهم يعودون) وذلك لقوله ـ تعالى ـ : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٢) ، فالناس يبعثون كما خلقوا أول مرة ويأتي الله بهم فيحاسبهم أجمعين ، ولا يعجزه عن ذلك ، بل البعث يسير عليه : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٣) .

الخلاصة :

١ ـ إن الساعة آتية وهي حق لا ريب فيها .

٢ ـ يبعث الله الموتى بعد موتهم كما بدأهم أول مرة .

المناقشة :

١ ـ ما هي الساعة؟ وما حكم منكرها؟

٢ ـ هل يبعث الله الموتي؟ وكيف يكون ذلك؟

٣ ـ ما حكم من أنكر بعث الأجساد؟

---

(١) سورة التغابن ، الآية : (٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٢٩) .

(٣) سورة يس ، الآية : (٨٢) .

الفقرة العاشرة

*** وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات ، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر ، وجعل من لم يتب من الكبائر صائراً إلى مشيئته ، ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ .**

اللغة : (ضاعف زاد . (صفح) عفا وتجاوز . (غفر) ستر وعفا عن . (اجتناب) البعد عن الشيء .

الشرح :(وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات) كما قال ـ تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾(١) ، وكما قال : **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾**(٢) ، فالله ـ تعالى ـ يثيب المحسن على إحسانه فيجازيه أضعاف حسنته أضعافًا كثيرة فقد قال تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ ﴾(٣)، وذلك من فضل الله ـ تعالى ـ وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات ، وذلك ان المؤمن إذا ارتكب ما ارتكب من المعاصي ، ثم تاب إلى الله تعالى توبة نصوحًا وأحسن الإنابة كفَّر الله عنه سيئاته كما قال ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾(٤) ، وقال : ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ

(١) سورة الأنعام ، الآية : (١٦٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٦١) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (٢٤٥) .

(٤) سورة التحريم ، الآية : (٨) .

صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾[١] . فالتوبة تجب ما قبلها وتمحوه وتكفره ،)وغفر لهم الصغائرباجتناب الكبائر) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[٢] ، وكما في الحديث : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[٣] .

فاجتناب الكبائر نفسه إحدى مكفرات الصغائر ، وهذا من فضل الله ـ تعالى : (وجعل من لم يتب من الكبائر صائراً إلى مشيئته) ، كما ثبت في الحديث : «ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى أن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه»[٤] ، وهذا هو قول أهل الحق فمن السلف ، أن مرتكب الكبيرة غير المستحل لها ، إن تاب منها تاب الله عليه ، وإن أقيم عليه الحد في الدنيا كان كفارة له ، وإن لم يقم عليه الحد ومات على غير توبة فإنه تحت المشيئة ، إن شاء الله عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بذنبه ، لكننا نخاف عليه ولا نحكم له بالخلود في النار كما قالت المعتزلة والخوارج : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٥] . وهذه الآية نص في المسألة ، ومعناها أن الشرك لا يغفر لصاحبه أبدا ، وأما ما عداه من الكبائر والصغائر فإن الله ـ تعالى ـ يغفرها لمن يشاء .

(١) سورة الفرقان ، الآيات : (٦٨ : ٧٠) .

(٢) سورة النجم ، الآية : (٣٢) .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩) ، كتاب الطهارة ، رقم (٢٣٣) .

(٤) البخاري (١/ ٨١) ح١٨ ، في الإيمان باب ١١ من حديث أبي إدريس الخولاني عن عبادة مرفوعًا وأخرجه غيره .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٤٨) .

الخلاصة :

١ ـ إن الله يضاعف الحسنات للمؤمنين .

٢ ـ اجتناب الكبائر مكفر للصغائر .

٣ ـ المسلم الذي يموت على غير توبة صائر إلى مشيئة الله .

المناقشة :

١ ـ ما هو ثواب الله للمؤمنين؟

٢ ـ هل اجتناب الكبائر يكفر الصغائر؟

٣ ـ ما حكم المسلم الذي يموت على غير توبة؟

الفقرة الحادية عشرة

* **ومن عاقبه الله بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ . ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته .**

الشرح : (ومن عاقبه الله بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته) ، فالمسلم العاصي الذي يعاقبه الله بالنار جزاء أعماله ، إذا شاء الله ـ تعالى ـ يخرج من النار بإيمانه فيدخل الجنة مع الموحدين ، وقد ثبت في الحديث أن الله ـ تعالى ـ يقول يوم القيامة : «وعزتي وجلالي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله»[١] ، وذلك لأن معه أصل التوحيد الذي يدخل به الجنة ، لكن لما غلبت سيئاته على حسناته عذب بها حتى نقي وهذب ثم أذن له في دخول الجنة وذلك لأن الله ـ تعالى ـ لا يضيع عمل العالم : **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾**[٢] .

(ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته) . وهذه من أنواع الشفاعة الثابتة للنبي ﷺ فإنه يشفع للخلائق يوم القيامة حتى يقضي الله بينهم ، ويشفع لأمته في دخول الجنة ، ويشفع لمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر ، فيخرجون منها كما في الحديث : «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون»[٣] .

وقوله : «فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار . . .»[٤] ، وهذا من مكانة النبي ﷺ عند ربه ـ عز وجل .

---

(١) البخاري (١٣/ ٤٩١ : ٤٨٢) ح ٧٥١ ، في التوحيد باب كلام الرب ـ عز وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم من حديث معبد بن هلال عن أنس مرفوعًا .

(٢) سورة الزلزلة ، الآية : ٧ .

(٣) البخاري (١٣/ ٤٨١) ، ح٧٥٠٩ ، في التوحيد باب كلام الرب . . من حديث حميد عن أنس مرفوعًا .

(٤) البخاري (١٣/ ٤٨١ ، ٤٨٢) ح ٧٥١ ، في التوحيد باب كلام الرب ـ عز وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم من حديث معبد بن هلال عن أنس مرفوعًا .

الخلاصة :

١ ـ من دخل النار من الموحدين بذنوبه أخرج منها بإيمانه ودخل الجنة .

٢ ـ يخرج أهل الكبائر من النار بشفاعة النبي ﷺ .

المناقشة :

١ ـ هل يخلد أحد من الموحدين في النار؟ وهل يخلد أهل الكبائر فيها أم لا؟

الفقرة الثانية عشرة

* **وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه ، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم ، وهي التي هبط منها آدم نبيه وخليفته في أرضه بما سبق في سابق علمه ، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله ، وجعلهم محجوبين عن رؤيته .**

اللغة : (خلود) الخلود هو الإقامة الدائمة .

الشرح : (وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه) الجنة مخلوقة ، وهي دار الكرامة والثواب والرحمة وقد أعدها الله ـ تعالى ـ للطائعين من عباده دار خلود ومقام ، كما قال ـ تعالى ـ ﴿**خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما**﴾[(١)] ، وقال ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[(٢)] ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا**﴾[(٣)] .

وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم ، وذلك مصداق لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[(٤)] ، فالآية صريحة في النظر إلى الله تعالى ، وكذلك قوله ـ عز وجل ـ عن الكفار : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[(٥)] ، فلما ذكر حجبهم عن رؤيته دل على أن المؤمنين يرونه ، وقوله

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : (٧٦) .

(٢) سورة هود ، الآية : (١٠٨) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية : (١١) .

(٤) سورة القيامة ، الآيتان : (٢٢ ، ٢٣) .

(٥) سورة المطففين ، الآية : (١٥) .

-عز وجل- : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(١)] ، فالحسنى هي الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى ، وفي الحديث : «إنك ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»[(٢)] ، وهذا قول أهل الحق خلافا للمعتزلة وغيرهم من أهل الضلال ممن أنكر الرؤية ، (وهي التي هبط منها آدم نبيه وخليفته في أرضه بما سبق في سابق علمه) كونه خليفة كما قال -تعالى- : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[(٣)] ، والمقصود أنهم يخلف بعضهم بعضًا في عمارة هذه الأرض ، وأما الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام ، فهل كانت هي جنة الخلد أم غيرها؟ على قولين . وهو علم لا ينفع وجهل لا يضر ، وإنما كان كل ذلك مقدراً في علم الله -تعالى- وقضائه ومشيئته ، أعني خروج آدم ، عليه السلام ، من الجنة ، بعد أكله من الشجرة .

(وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله) ، وذلك كما قال -تعالى- : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا﴾[(٤)]، وقال -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[(٥)] ، وأما الإلحاد فقد يكون بجحد الآيات والكتب والرسل كلها أو بعضها ، كالذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، وقد يكون بتحريف الآيات لفظًا ، أو تحريفها معنى ، وصرفها عن حقيقتها ، وقد قال -تعالى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾[(٦)] .

---

(١) سورة يونس ، الآية : (٢٦) .

(٢) البخاري (١٣/ ٤٢٩) ٧٤٣٤ ، التوحيد باب قول الله -تعالى- : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ، من حديث قيس عن جرير مرفوع .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (٣٠) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (١٤) .

(٥) سورة التغابن ، الآية : (١٠) .

(٦) سورة فصلت ، الآية : (٤٠) .

(وجعلهم محجوبين عن رؤيته) : وهذه من أشق وأعظم العقوبات على الكافرين أن يحرموا من رؤية الله ـ تعالى ـ في الآخرة كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(١) ، بينما يراه المؤمنون حقيقة كما سبق .

الخلاصة :

١ ـ الجنة دار المتقين وأعظم نعيم لهم فيها رؤية الله تعالى .

٢ ـ النار دار الكفرة والفجرة والملحدين ، وهم محجوبون عن رؤية الله تعالى .

المناقشة :

١ ـ من هم أصحاب الجنة؟

٢ ـ هل رؤية الله ـ تعالى ـ حق؟ وكيف تكون؟

٣ ـ من أصحاب النار؟ وهل يرون ربهم أم لا؟

---

(١) سورة المطففين ، الآية : (١٥) .

الفقرة الثالثة عشرة

* وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفا ، لعرض الأمم وحسابهم وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد : ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ ، ويرون صحائفهم بأعمالهم : (فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيراً ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيراً) .

اللغة : . . . .

الشرح : (وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(١) ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾(٢) . فصفة المجيء هذه ثابتة لله ـ تعالى ـ بالنص ، وتأتي الملائكة ، ويكون في هذا اليوم من الشدائد والأهوال ما لا يعلمه إلا الله : (لعرض الأمم وحسابهم) ، كما قال تعالى : ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾(٣) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٤) ، فالناس يعرضون على الله تعالى يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم (وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد) ، وقد قال تعالى :﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾(٥) ، فيوضع يوم القيامة ميزان له كفتان لا يعلم عظمتهما إلا الله تعالى وذلك لوزن حسنات المرء وسيئاته ،

---

(١) سورة الفجر ، الآية : (٢٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢١٠) .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : (١٨) .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٤٩) .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : (٤٧) .

وهو على حسب ما غلب ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١) أي من ثقلت موازين حسناته فرجحت بموازين سيئاته وغلبتها كان من أهل الجنة الفائزين المفلحين ، بل هذا أعظم الفلاح ، (ويؤتون صحائفهم بأعمالهم) ، كذا بالأصل ولعل الصواب (ويؤتون صحائف أعمالهم) ، أو لعل المقصود يؤتون صحائفهم على قدر أعمالهم وعلى حسبها ، وكل إنسان يعطي صحيفته يوم القيامة كتابًا فيه أعماله ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾(٢) ، وهؤلاء هم أهل الجنة الفائزون الذين يحاسبهم الله تعالى حسابا يسيرا ثم يغفر لهم ويأمر بهم إلى الجنة . ولكن : (من أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيراً) ، هذا هو الصنف الثاني الذين يؤتون كتبهم يوم القيامة ، ولكنهم لما كانوا أهل خبث ومعصية فإنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم وجزاؤهم كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾(٣) . نسأل الله العافية من الخذلان .

الخلاصة :

١ ـ مجيء الله ـ تعالى ـ يوم القيامة لحساب الناس حق .

٢ ـ ينصب الميزان يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

٣ ـ أصحاب الجنة يأخذون كتبهم بأيمانهم ، وأصحاب النار يأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهوره .

المناقشة :

١ ـ هل مجيء الله ـ تعالى ـ لفصل القضاء حق ؟

٢ ـ ما معنى (الميزان) ؟

٣ ـ كيف يأخذ الناس كتبهم يوم القيامة؟

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : (١٠٢) .

(٢) سورة الانشقاق ، الآيتان : (٧ : ٨) .

(٣) سورة الانشقاق الآيات : (٩ ـ ١١) .

الفقرة الرابعة عشرة

*** وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم ، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم ، وقوم أو بقتهم فيها أعمالهم .**

اللغة : (الصراط) يقصد به الجسر على شفير جهنم . (يجوزه) يعبره . (أوبقتهم) أهلكتهم .

الشرح : (وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم) والصراط هو الجسر الذي ينصب على شفير جهنم بين حافتيها ، ويعبر عليها الخلائق ، وقد قال النبي ﷺ : «ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم»(١) ، فمنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجوزه كالريح ، ومنهم من يجوزه كأجاويد الخيل ، ومنهم من يجوزه كأشد الرجال ، ومنهم من يمشي مهرولا ، ومنهم من يمشي وينكفيء حتى يعبر عليه ، كل ذلك على حسب أعمالهم وعلى حسب حسناتهم .

(وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم) أي ومنهم اقوام أهلكتهم أعمالهم وكانت سببًا في خسارهم وهلاكهم وشقائهم ، حيث تخطفتهم من على الصراط ، كلاليب جهنم فهوت بهم سبعين خريفًا حتى يصلوا إلى قعرها ، وهؤلاء أهل الشقاء والعياذ بالله ـ تعالى ـ .

الخلاصة :

١ ـ الصراط حق يوم القيامة ، وهو جسر على شفير جهنم ، ويجوزه العباد على قدر أعمالهم .

المناقشة :

١ ـ عرف الصراط .

٢ ـ ما هي مراتب الناس في عبور الصراط ؟

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٥) كتاب الأذان ، باب فضل السجود . ومسلم (١/ ١٦٤) كتاب الإيمان ، رقم (١٨٢) .

الفقرة الخامسة عشرة

* **والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته ، لا يظمأ من شرب منه ، ويذاد عنه من بدل وغير .**

اللغة : (ترده) تأتيه وتشرب منه . (يذاد عنه) يبعد ويحجز دونه .

الشرح : (والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته) وهذا مما يجب الإيمان به وهو أن للنبي ﷺ حوضًا موروداً ترده أمته يوم القيامة ، كما قال ، عليه الصلاة والسلام : «أنا فرطكم على الحوض . .»(١) ، فهو ينتظر أمته ليسقيهم ، وهذا الحوض شديد الاتساع ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، رائحته كرائحة المسك ، وكيزانه كنجوم السماء (لايظمأ من شرب منه) ، كما قال النبي ﷺ : «من شرب منها فلا يظمأ أبدا»(٢) ، (ويزاد عنه من بدل وغير) ، أي حرم منه ، ويمنع من الوصول إليه والشرب منه كل من بدل وغير في دين النبي ﷺ ، في أي جوانبه ، وقد قال النبي ﷺ : «ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم مني فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقًا سحقًا لمن غير بعدي»(٣) ، وهذا جزاء كل من بدل وغير في دين النبي محمد ﷺ في صغير أو كبير ، في العقائد أو العبادات أو غيرهما ، فالواجب على المسلم الحذر أشد الحذر من الابتداع في الدين بأي صورة .

---

(١) البخاري (١١/ ٤٧١) ح٦٥٧٥ في الرقاق باب في الحوض من حديث شقيق عن عبد الله مرفوعًا .

(٢) البخاري (١١/ ٤٧٢) ح٦٥٧٩ ، في الرقاق باب في الحوض من حديث أبي مليكة عن عبد الله بن عمر مرفوعًا .

(٣) البخاري (١١/ ٤٧٢) ح٦٥٨٤ ، في الرقاق باب في الحوض من حديث النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا .

الخلاصة :

١ ـ حوض النبي ﷺ حق ، ترده أمته ، ومن شرب منه لا يظمأ أبداً .

٢ ـ أهل البدع والمحدثات والتبديل في الدين يحرمون من الشرب من الحوض .

المناقشة :

١ ـ اذكر صفات حوض النبي ﷺ .

٢ ـ هل يشرب المبتدعون من حوض النبي ﷺ؟

الفقرة السادسة عشرة

*** وأن الإيمان قول باللسان ، وإخلاص بالقلب ، وعمل بالجوارح ، ويزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها ، فيكون بها النقص وبها الزيادة ، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة .**

اللغة : (الإيمان) لغة : التصديق .

الشرح : (وأن الإيمان قول باللسان ، وإخلاص بالقلب ، وعمل بالجوارح) هذا هو قول جماهير السلف ، أهل الحق ، فالإيمان أصله التصديق ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾(١) ، أي بمصدق لنا ، وقد زعم طوائف من الجهال والضلال بأن الإيمان هو معرفة القلب فقط ، ولكن دلائل الكتاب والسنة تضافرت على تأكيد قول السلف بأن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ، ودائما يقرن ـ تبارك وتعالى ـ بين الإيمان وعمل الصالحات في مثل قوله : ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**﴾(٢) ، فالمؤمن يصدق بقلبه ، ويقر بلسانه ، وذلك هو المقصود من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والعمل داخل في مسمى الإيمان خلافًا لمن أخرجه كأبي حنيفة رحمه الله وغيره ، أو كالطوائف التي زعمت أن الأعمال ليست من الإيمان ، بل إنها من الإيمان وذلك هو مقتضى نصوص الكتاب والسنة ، وقد عدَّ النبي ﷺ الأعمال من الإيمان في كثير من الأحاديث ، وذلك في مثل قوله عليه الصلاة والسلام : «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان»(٣) ، فدلَّ

---

(١) سورة يوسف ، الآية : (١٧) .

(٢) سورة ص ، الآية : (٢٤) .

(٣) مسلم (١/ ٦٣)ح٣٥ ، في الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا .

ذلك وغيره على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ، وهذا هو القول الحق في هذه المسألة ، وهو قول جماهير السلف رضي الله عنهم .

(ويزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها) ، وهذا هو القول الحق كذلك ، وهو قول السلف الصالح رضي الله عنهم وقد دلت عليه النصوص الكثيرة من مثل قوله - تعالى - : **﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا﴾**(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾(٢) .

والنصوص كثيرة في هذا الباب ، من الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، وهذا قول جماهير السلف ، وقد خالفهم طوائف زعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأنه واحد ، وهكذا قالوا بأنه إما أن يثبت الإيمان بالكلية ، وإما أن يرتفع بالكلية ، فمنهم من كفر كل العصاة ، ومنهم من قال إن المعاصي لا تضر صاحبها ، وكلهم على شعبة من الضلال ، والحق أن الإيمان يتبعض ، وأنه يزيد وينقص ، وأهله متفاوتون فيه ، وهذا هو الحق لا ريب .

(فيكون بها النقص وبها الزيادة) أي الأعمال كلما زادت الأعمال الصالحة زاد الإيمان وكلما نقصت نقص بذلك ، وهكذا يتفاوت أهل الإيمان فيه بحسب تقواهم ، وأعمالهم (ولا يكمل قول الإيمان إلا بعمل) أي لما كان العمل من الإيمان كان الإيمان يزيد أو ينقص بحسبه ، فمن صدق وأقر فإنه لا يكمل إيمانه حتى يأتي بالعمل (ولا قول ولا عمل إلا بنية) ، وذلك لأن النبي ﷺ قال : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»(٣) . فالقول والعمل لا يقبل إلا بالنية الخالصة لله تعالى ، وإذا كان لغير الله فإنه مردود على صاحبه (ولا قول وعمل

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (١٢٤) .

(٢) سورة المدثر ، الآية : (٣١) .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢) في باب بدء الوحي من حديث علقمة عن عمر مرفوعًا ، وأخرجه غيره .

ونية إلا بموافقة السنة) ، فإذا كان العمل غير مطابق لهدي النبي ﷺ فهو باطل ومردود على صاحبه كذلك لقول النبي ﷺ : «ومن عمل عملاء ليس عليه أمرنا فهو رد»(١) ، فكل عمل على غير الطريقة النبوية فهو باطل ، وكذلك العمل غير الخالص لله ـ تعالى ـ .

الخلاصة :

١ ـ الإيمان تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، ويزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي .

٢ ـ الإخلاص وموافقة السنة شرطان من شروط صحة العمل .

المناقشة :

١ ـ عرف الإيمان عند أهل الحق .

٢ ـ وهل يزيد وينقص؟

٣ ـ اذكر الشرطين الأساسيين لصحة الأعمال .

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٤٤) ح١٧١٨ ، في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة من حديث القاسم عن عائشة مرفوعًا ، وأخرجه البخاري بنحوه .

الفقرة السابعة عشرة

* وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة .

اللغة : (من أهل القبلة) يقصد من أهل ملة الإسلام .

الشـرح : (وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة) أهل السنة من السلف الصالح يقولون بأن المسلم لا يكفر بارتكابه للمعصية ، صغيرة أو كبيرة ، ما دام مقراً بحرمتها ويقولون بأنه إن استحلها كفر باستحلاله لها ، لجحده معلوماً من الدين حرمته وليس كفره بالمعصية نفسها ، وقد ضلت طوائف في هذا الباب كالخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة ، بل إن غلاة منهم كفروا عموم العصاة ، وهذا ضلال بيِّن وقد جر إلى كثير من المفاسد ، والحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم من أن العاصي يفسق بمعصيته لكنه ليس كافراً إلا باستحلالها ، والله ـ تعالى ـ لم ينف الإيمان عن العصاة ، وانظر إلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[1] ، فلم ينف عنهم الإيمان رغم اقتتالهم ، والشواهد على ذلك كثيرة فتأمل .

الخلاصة :

١ ـ لا يكفر المسلم بذنب صغير أو كبير ما لم يستحله .

المناقشة :

١ ـ هل يكفر المسلم بالمعصية؟ وما حكم مرتكب الكبيرة؟

---

(١) سورة الحجرات ، الآيتان : (٩ ، ١٠) .

الفقرة الثامنة عشرة

* **وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون ، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين ، وأن المؤمنين يفتتنون في قبورهم ويسألون : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ .**

اللغة : (ناعمة) متنعمة .

الشرح : (وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1] ، فالشهداء أحياء حياة خاصة بهم عند ربهم ـ عز وجا ، ه في الحديث : «لما
أصيب إخوانكم ـ يعني يوم أحد ـ جعل الله أرواحهم ـ د
أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل
العرش»[2] ، فهذه هي أرواح الشهداء ، رزقنا الله اا

(وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يـ ـة
مسرورة كما ثبت في الحديث : «إن نسمة الم ـنة ،
حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[3] ، و ي بيان
حال الصالحين والفاسقين ، وهذا مما يجب ح المؤمن
منعمة إلى أن يعيده الله ويبعثه يوم القيامة (وأرواح اهل الشقاوة معذبة إلى يوم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١٦٩) .

(٢) أحمد (١/ ٢٦٦) ، وأبو داود (٢٥٢٠) ، في الجهاد وغيرهما من حديث ابن عباس ، ومسلم (١٨٨٧) ، في الإيمان من حديث ابن مسعود .

(٣) النسائي (٤/ ١٠٨) في الجنائز وابن ماجه ، ومالك وأحمد وغيرهم وهو حديث صحيح .

الدين) ، وذلك كما في مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾(١) ، وكما في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾(٢) ، فالكفار يعذبون ، والظلمة وأهل الفسوق من شاء الله منهم يعذبون عند الموت ، وفي القبر وإلى يوم القيامة ، وقد دلت على ذلك أحاديث القبر الكثيرة ونصوص الكتاب والسنة (وأن المؤمنين يفتتنون في قبورهم ويسألون ، وقد ثبت في السنة قول النبي ﷺ : «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها . .»(٣) ، فدل ذلك على فتنة القبر ، والنصوص كثيرة متواترة في شأن أحوال القبر وما فيه ، وخلاصتها أن الميت يسأل في قبره عن ثلاثة أمور عن ربه ، ودينه ، ونبيه ﷺ ، فمن وفقه الله تعالى ومنَّ عليه بفضله ثبته عند سؤال الملكين وهما : المنكر والنكير ، فألهمه الجواب ، ومن خذله الله تعالى ، وغضب عليه ، وعامله بعدله ، لم يستطع الجواب ، وطاش عن الصواب ، وذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾(٤) ، وهذا هو ما يعتقده أهل الحق ، أن القبر ـ وهو حياة البرزخ ـ دار سؤال وفتنة ، ينعم فيها السعيد ، ويعذب فيها الشقي ، إلى أن يبعثهم الله ـ تعالى ـ يوم القيامة للعرض عليه وللوقوف بين يديه .

---

(١) سورة غافر ، الآية : (٤٦) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : (٥٠) .

(٣) أخرجه مسلم (٥/ ٢١٩٩) ح٢٨٦٧ في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعًا ، وأخرجه أحمد والنسائي وغيرهما .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : (٢٧) .

الخلاصة :

١ ـ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

٢ ـ المؤمنون منعمون إلى يوم القيامة ، والكفار معذبون إلى يوم القيامة .

٣ ـ عذاب القبر وفتنته وسؤاله حق .

المناقشة :

١ ـ ما هي حال الشهداء بعد موتهم ؟

٢ ـ ما هي حال المؤمنين بعد موتهم ؟

٣ ـ ما هي حال الفاسقين بعد موتهم ؟

٤ ـ اذكر طرفاً من أحوال القبر .

الفقرة التاسعة عشرة

*** وأن على العباد حفظة ، يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم ، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه .**

اللغة : (ولا يسقط) المقصود : ولا يغيب .

الشرح : (وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] ، وقال ـ تعالى : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[2] ، فقد ثبت في الكتاب والسنة ، أن الحفظة من الملائكة يكتبون على الإنسان كل ما يعمله أو يقوله من خير أو شر ، وذلك بأمر الله ـ تعالى ـ : ﴿ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[3] ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[4] ، فالله ـ تعالى ـ لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[5] ، وهو أعلم بخلقه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[6] ، ﴿وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه﴾ ، أما كون ملك الموت يتوفى الناس فهذا حق لأن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[7] ، وذلك

---

(١) سورة الانفطار ، الآيات (١٠ ، ١٢) .

(٢) سورة ق ، الآية : (١٨) .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : (١٨) .

(٤) سورة الجاثية ، الآية : (٢٩) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : (٥) .

(٦) سورة يونس ، الآية : (٦١) .

(٧) سورة السجدة ، الآية : (١١) .

لأنه المباشر للتوفي وقبض الروح ، وإنما كل ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ ومشيئته ، ولما كان الفاعل الأصلي للتوفي هو الله ـ تعالى ـ بمشيئته وأمره ، نسب التوفي كذلك إلى الله تعالى حيث قال : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[1] ، هذا هو القول في هذا الباب ، والله الموفق للهدى والصواب .

الخلاصة :

١ ـ الملائكة الحفظة يكتبون أعمال الخلق بإذن الله ، ولا يخفى على الله شيء من ذلك .

٢ ـ ملك الموت هو الموكل بقبض أرواح العباد .

المناقشة :

١ ـ ما هي وظيفة الملائكة الحفظة ؟

٢ ـ من هو الموكل بقبض أرواح الناس؟

---

(١) سورة الزمر ، الآية : (٤٢) .

الفقرة العشرون

* وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، أجمعين ، وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر ، والإمساك عما شجر بينهم ، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج ، ويظن بهم أحسن المذاهب .

اللغة : (القرون) : جمع قرن ، وهو الجيل أو أهل الزمان الواحد أو المائة عام . (الإمساك) : الكف . (شجر) نشأ . والمقصود الكف عما تنازعوا فيه واضطربوا واختلفوا في شأنه .

الشرح : (ون خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلونهم) ، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(١) ، فخير هذه الأمة ، القرن الذين اصطفاهم الله ـ تعالى ـ لصحبة رسوله ﷺ واختصهم بمشاهدة التنزيل ورؤية الرسول ، وغير ذلك من الفضائل ، ثم يليهم في الفضل التابعون الذين رأوا الصحابة ، وصحبوهم وأخذوا منهم ثم أتباع التابعين وهذا مقتضى الحديث النبوي السابق (وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عفان ثم علي رضي الله عنه أجمعين) ، هكذا أوصى النبي ﷺ باتباع الخلفاء الراشدين المهديين ، كما ثبت في الحديث : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي . .»(٢) ، فهؤلاء الأربعة هم خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، وترتيبهم في

---

(١) البخاري (٧/ ٥٢)ح ٣٦٥١ ، في فضائل الصحابة في أوله وأخرجه في مواضع أخر من حديث عبيدة عن ابن مسعود مرفوعًا ، وأخرجه غيره .

(٢) الترمذي (٢٦٧٨) في العلم باب ما جاء في الأخذ في السنة ، وابن ماجه وأحمد والدرامي وغيرهم من حديث العرباض بن سارية مرفوعًا وهو حديث صحيح .

الفضل هو على حسب ترتيبهم في الخلافة ، فأفضلهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - رفيق النبي ﷺ وصاحبه ، ثم عمر صاحبه الثاني ، وهما اللذان قال النبي ﷺ في حقهما : «اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر»(١) ، يليهما في الفضل والمنزلة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - زوج ابنتي رسول الله ﷺ وقد أخبر أنه : «تستحي منه الملائكة»(٢) .

ثم علي رضي الله عنه رابع الراشدين ، وزوج بنت النبي ﷺ وابن عمه ، والذي قال له النبي ﷺ : «ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى . . .»(٣) ، (وألا يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بخير) ، فيحرم أشد الحرمة سب الصحابة أو انتقاصهم أو القدح فيهم ، بل ذلك علامة النفاق والزندقة ، وقد قال النبي ﷺ : «لا تسبوا أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(٤) ، فلا يجوز لأحد كائنًا من كان أن ينتقص أصحاب النبي ﷺ أو يقع فيهم ، بل من أحبهم فهو مؤمن ، ومن أبغضهم فهو منافق ، كانوا أكثر الناس علمًا وطاعة ، وتقوى وجهاداً ، وبراً ، وإحسانًا ، وأقلهم تكلفًا وأزكاهم نفسًا ، رضي الله عنهم أجمعين ، فلا يذكرون إلا بالثناء والجميل ، والترضي عليهم رضي الله عنهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، فيجب علينا أن لا ننشغل بما دار بين الصحابة من اختلاف واقتتال وأن لا نخوض في ذلك ، بل يجب علينا أن نمسك عنه ، وأن نفوض علمه إلى الله - تعالى - ، وليكن معلومًا أن الله - تعالى - لن يسألنا من منهم كان محقًا ومن كان

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٣٠) ، وقال : حسن غريب ، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث . وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٦٦) كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٢٤٠١) .

(٣) البخاري (٧/ ٨٨) ح٣٧٠٦ ، في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه مرفوعًا ، وأخرجه غيره .

(٤) البخاري (٧/ ٢٥) ح٣٦٧٣ ، في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذا خليلا» ، من حديث ذكوان عن أبي سعيد مرفوعًا وأخرجه غيره .

مخطئًا؟ فذلك علم لا ينفع ، وجهل لا يضر بل الواجب علينا أن نعلم (وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب) ، فالصحابة أولى الناس أن نلتمس لهم المعاذير ، ونحسن بهم الظن ، فإنهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا على الدنيا ، بل منهم من تأول فأصاب وله أجران ، ومنهم من تأول فأخطأ وله أجر ، ولكنهم جميعًا كان هدفهم الخير ، وكانت نيتهم تقوى الله ـ تعالى ـ ، وهذا هو الواجب في حقهم ، أما الطعن فيهم ، فلا ، ثم لا .

وإذا لم يكن الصحابة أولى الناس أن يلتمس لهم المعاذير ، ويحسن بهم الظن ، ونوكل أمرهم إلى الله ونترضى عليهم جميعًا . فمن إذًا؟

الخلاصة :

١ ـ خير القرون أصحاب النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

٢ ـ خير الصحابة الخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة .

٣ ـ يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة والكف عنهم وذكرهم بالخير .

٤ ـ الصحابة أول الناس أن تلتمس لهم المعاذير .

المناقشة :

١ ـ من خير الناس؟

٢ ـ من هم خير الصحابة؟

٣ ـ ما موقفك مما شجر بين الصحابة من تنازع واقتتال؟

الفقرة الحادية والعشرون

*** والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم ، وأتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم ،والاستغفار لهم ، وترك المراء والجدال في الدين وترك كل ما أحدثه المحدثون ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيراً .**

انتهى .

اللغة : (اقتفاء) : اتباع . (المراء) : الجدال . (ذريته) ؛ نسله وولده .

الشرح : (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم) ، وذلك لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1] ، قيل : هم العلماء . وقيل : الأمراء ، وهو يشمل الاثنين ، بل يشمل كل صاحب ولاية ، فالمسلم عليه أن يسمع ويطيع ما دام في المعروف ، وأما إذا أمر بمعصية الله تعالى فلا سمع ولا طاعة ، وفي الحديث : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2] ، وهذا هو الواجب ، طاعة ولي الأمر ما دام آمراً بالمعروف ، فبهذا تنتظم أمور الناس وتستقيم حالهم . (وأتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم) ، فالمسلم الحق يجب عليه اقتفاء آثار السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ من الصحابة والتابعين ، وأتباعهم ، فإنهم كانوا على الهدى والحق المبين ، ولقد أشار الله إلى رضائه عن كل من اتبعهم فقال : **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ـ رضي الله عنهم ـ ورضوا عنه وأعد لهم**

---

(١) سورة النساء ، الآية : (٥٩) .

(٢) البخاري (١٣/ ١٣٠) ح٧١٤٤ في الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعًا ، وأخرجه مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم .

جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾[١] ، فرضوان الله عن الصحابة ومن تبعهم دليل على رضائه عن منهجهم وطريقتهم وعقيدتهم وحالهم ، وما كانوا عليه من الحق والهدى ، ويجب علينا الاستغفار لهم ، فقد قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[٢] .

(وترك المراء والجدال في الدين فالمراء والجدال في الدين أمر مذموم ، وفي الحديث : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ، ثم قرأ قوله ـ تعالى ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون**﴾[٣] ، ولكن يجوز للمسلم أن يجادل أهل الباطل بالحسنى إن رجا منهم الاستجابة للحق والرجوع إليه (وترك كل ما أحدثه المحدثون) ، فإنه قد ثبت في الحديث أن كل محدثة بدعة ، وقد لعن النبي ﷺ من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا ، والإحداث في الدين بغير إذن الله تبديل للشريعة ، وفي الكتاب : «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله»[٤] ، فلا يجوز الابتداع في دين الله ـ تعالى ـ بحال ، بل يجب على الإنسان هجران البدع ولزوم السنن ، فإن الرد على أهل البدع وقمع شبهاتهم وكسر جموعهم وبغضهم وعداوتهم ، ومناصرة السنن ، وأهلها من أعظم الجهاد في سبيل الله ومن أجل الطاعات لله عز وجل ، ولذلك نرى سلف هذه الأمة وأئمة السنة أشداء على أهل البدع درسًا وتدريسًا وتأليفًا لأن اللين على أهل البدع يسبب تقوية شوكتهم ، وظهور أمرهم ورفع رؤوسهم فضلا عن موالاتهم ومناصرتهم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيراً . انتهى) . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (١٠٠) .

(٢) سورة الحشر ، الآية : (١٠) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : (٥٨) ، والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٦) والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم من حديث أبي أمامة مرفوعا ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٨٤/ ٥٦٣٣) .

(٤) سورة الشورى ، الآية : (٢١) .

الفهرس

الموضوع الصفحة

الإستدراكات بالجزء الأول من كتاب جمع الفنون

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
إما	أما	١٩	١١
ا لله	لله	٢١	١٤
بالقلم	القلم	٢٤	٩
كفر بعد	بعد	٢٦	١
عن	عنه	٢٧	٧
ويرى	يرى	٣٠	٧
ابن	بن	٣٣	١٥
مسجدى هذا	و مسجدى هذا	٣٥	(٧) الحاشية
ا لله تعالى (١)	ا لله تعالى (٢)	٤٢	١٣
(١) البدور	(٢) البدور	٤٢	(٢) الحاشية
سلطان	سلطان (٢)	٤٤	١١
و يحاجونه (١)	و يحاجونه (٣)	٤٤	١٨
(١) يحاجونه	(٣) يحاجونه	٤٤	(٣) الحاشية
و كان	كان	٤٥	١٦
باسمه (١)	باسمه (٢)	٥١	٤
(١) و هي	(٢) و هي	٥١	(٢) الحاشية
أن ظهر	أن يظهر	٥٤	١٤
و خزنة الجنة	كخزنة الجنة	٦٥	٧
أنزلتها	أنزلها	٦٥	١٠
كلام كلام	كلام	٦٥	١٥
يطع	و من يطع	٧١	٩
العلي	العلىٰ	٧٤	٥
لقوله	و لقوله	٧٦	٥
عالما	علما	٧٧	١٣
و إما	و أما	٨٦	٢٠
أودجه	أوجده	٩٠	٧
بمشيته	بمشيئته	٩٠	١٩
إإن	إن	٩٧	٤
فإنه مؤمنا	فإنه مؤمن	١١٠	٢
تبدوا	تبدو	١١٣	٣
و متماثلون	متماثلون	١١٦	٨
عمله	بعمله	١٢٠	١٧
صفة القيامة باب	صفة القيامة	١٢٣	(٢) الحاشية
و يتبلى	و يبتلى	١٢٥	٣
ذكل	ذكر	١٢٩	١٧

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
إن هذه	إن من هذه	١٣٠	٥
تفاوت	تتفاوت	١٣٠	١٣
و غيرهاا	و غيرهم	١٣٠	(١) الحاشية
أومن	أؤمن	١٣٢	٥
تم	ثم	١٤١	١٠
يتقبلون	يتقلبون	١٥٣	٧
فهيي	فهي	١٧٢	١٦
حقيقة	حقيقته	١٧٥	١٥
علم الخلق	علم في الخلق	١٧٦	٢١
يجعلون	ليجعلوه	١٧٨	٥
الحفظة	و الحفظة	١٨٤	٤
يتفاوتو	يتفاوتون	١٩٤	١٣
الأعمال بهم	الأعمال إليه و الإيمان بالملائكة علي الوجه الذي سبق ذكره من الإيمان بهم	١٩٥	٧،٦
نوبة	توبة	١٩٨	٢
إنهاالعليم	إنه العليم	١٩٩	١١
عن الأئمة	على الأئمة	٢٠١	٨
ما أشتبه	ما اشتبه	٢٠٤	٩
و كذلك المسح ثلاثة أيام	تحذف لأنها مكررة	٢٠٤	١٥،١٤
حفظه	حفظة	٢٠٦	١٠
و يؤمن	و نؤمن	٢٠٧	٦
البحر في باطن	البحر في بطون	٢٠٧	٩
سوى	سوء	٢١١	١٦
٢٨٨٠٠	٢٨٨٠	٢١٤	(١) الحاشية
كـ كلما	كلما	٢٢٠	٣
ذكرناه	ذكره	٢٢٥	٩
لا يكفره	لا يكفر	٢٥٣	١٨
أم	أنَّ	٢٦٠	٧
عبادة	عباده	٢٦٢	٦
ظاهرة	ظاهره	٢٦٧	١٠
معاقبة	معاقب	٢٦٨	٣
مشيئته	مشيئه	٢٦٨	٩
في فيدخلها	فيدخلها	٢٩٦	١٠
لم يأتب كفر	لم يأت بكفر	٢٧٢	٩
الحنه	الجنة	٢٨١	٦
ه ذلك	و ذلك	٢٨١	٥

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
يأس	أيس	٢٨٤	٤
البقين	اليقين	٢٨٦	١١
ولنسائي	و النسائي	٣٠٠	(١) الحاشية
حيث مال	حيث مال (١)	٣٠٨	٦
و يجعلوون	و يجعلون	٣١٩	١٠
سبحاله	سبحانه	٣٢٧	٢
أي	أين	٣٢٨	١٥
ابن مطيع	أبي مطيع	٣٣١	٣
لا و لا ينفعكم	و لا ينفعكم	٣٣٤	٤

الإستدراكات بالجزء الثاني من كتاب جمع الفنون

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
بدسعة	بدعة	٥	١٥
أمرروها	أمروها	١٢	٥
ـالذى	الذى	١٢	١٠
يأت	يأتي	١٢	١٠
بمنعي	بمعني	١٤	١٠
الحاظ	الحافظ	١٤	(٢) الحاشية
فمن ذلك ما	فمن ذلك	١٧	٥
بدعو	يدعو	١٨	(٤) الحاشية
بجمع	بجميع	١٩	٢
و يعجب	يعجب	٢٣	١
عمر	عمرو	٢٦	١٦
عمر	عمرو	٢٧	١
لعمر	لعمرو	٢٧	٤
بعض	في بعض	٢٧	٨
إنه	أنه	٢٩	٩
الزرائع	الذرائع	٣٣	٧
١٩١١	١٩١	٣٨	أخر الحاشية
فإن	فإنه	٤٠	١٥
و سيرون	و يرون	٤٦	١٠
بكنه	بكنهه	٥٨	٢٠
الوريد (٣)	الوريد	٦١	١١
من يمده بعده	يمده من بعده	٦٧	١٣-١٤
٨٧	٢٧	٦٧	(٣) الحاشية
يكن	لم يكن	٧٠	٣
قوله	قول	٧١	١

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
و لا علم	و لا عمل	٧١	٨
أراده	و أراده	٧١	١٧
صالحا فأولئك يبدل	تشطب لأنها مكررة	٨١	٠١
إلي أن	إلي ا لله إن	٨١	٨
إنك	إنكم	٨٦	٢
مرفوع	مرفوعاً	٨٦	(٢) الحاشية
و يزاد	و يذاد	٩١	٢
و يزاد	و يذاد	٩١	١٠
حفي	في	٩٤	٢
ون	و إن	١٠٢	١٠
عفان	عثمان	١٠٢	١٦

طبع في مطابع مؤسسة الرسالة

تلفاكس: ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣

بيروت - لبنان